# من بلاغة البيان النبوي

# في الحديث عن الطعام وآدابه

## "دراسة تحليلية"


**بحث مقدم من**

**دكتور**

**أحمد محمود محمد الجبالي**

**أستاذ البلاغة والنقد المساعد**

**والعربية للبنات بكفر الشيخ في كلية الدراسات الإسلامية**

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين له الملك ، اختصنا بنعمة الإسلام ، وشرفنا بمعجزة القرآن وامتن علينا بنعمة الفصاحة والبيان.

والصلاة والسلام على خير الخلق، المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد بن عبد الله – ﷺ – سيد كل عالم وتقي وإمام كل رسول ونبي، خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن سار على طريقه إلى يوم الدين ، اللهم إنا نعوذ بك من أن نقول زورا ، أو أن نغشى فجورا ، وأعوذ بك ربي أن أكون من المغرورين ، اللهم أنشر علنا من سحائب علمك، وفيض رحمتك ، يا أرحم الراحمين .

### أما بعد

فإنه مركوز في الطباع ، وشائع بين البلغاء والمتحدثين أن البيان النبوي الشريف هو أبلغ كلام سمعته الآذان ، وأفصح بيان استقر في الأذهان ــ بعد بلاغة القرآن الكريم وبيانه المعجز ــ الذي وصل إلى المنزلة السامية التي لا يدانيها أحد ، ولا يستطيع مطابقتها بليغ ــ فبيانه – ﷺ – وإن كان في المرتبة الثانية ــ بعد البلاغة القرآنية ــ إلا أنه في المرتبة الأولى من كلام البشر لما عرف عنه من " سهولة في العرض ، وعذوبة في الأسلوب ، مما يجعل المتلقي لا يكابد عناء في حسن المتابعة ، وانسياب المعاني في ذهنه " (١).

"وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزّه عن التكلف ... واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي ، ورغب عن

(١) من بلاغة الدعاء النبوي : د / عبد الرازق محمد فضل : صـ ٨ ط مطبعة الشروق .

الهجين السوقي ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة ، وشيد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة ، وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الإفهام ، وقلة عدد الكلام ، مع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته ،لم تسقط له كلمة، ولا زلت به قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، ... ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا، ولا أقصد لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى ، ولا أبين في فحوى ، من كلامه – ﷺ – كثيرا(١).

ومن ثم كانت البلاغة النبوية " هذه هي البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآيتها ، وحسرت العقول دون غايتها ، لم تصنع وهي من الإحكام كأنها مصنوعة، ولم يتكلف لها وهي على السهولة بعيدة ممنوعة ... فهي إن لم تكن من الوحي ولكنها جاءت من سبيله ، وإن لم يكن لها منه دليل ، فقد كانت هي من دليله(٢).

ولما كانت البلاغة النبوية بهذه المنزلة العظيمة اهتم علماء البلاغة بها ، واجتمعوا حول حدائقها ليتنسموا من عبيرها، ويقطفوا من أزاهيرها اليانعة ، ولا يزال البلاغيون والدارسون يولون جهودهم شطر أحاديث النبي – ﷺ– لإظهار ما تحتويه من صور بيانية وأساليب إبداعية هيأت المخاطبين كل التهيؤ لأن تقع المعاني في القلوب وقت

(١) ينظر: البيان والتبيين للجاحظ:٢/١٤،١٣بتصرف ت عبد السلام هارون ط:دار الهلال بيروت ١٤٢٣هـ .

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : مصطفى صادق لرافعي ١٩٣،١٩٢ بتصرف ط: دار الكتاب العربي – بيروت، الثامنة – ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م .

وصول حروفها الآذان ، فيتأكد لديه ، ويستقر بداخله في صور لم يصل إليها أحد، ولم يقف على خصائصها الإبداعية مبدع مهما كانت غايته البلاغية .

والحديث عن الطعام وآدابه من الأمور التي تحدث من الإنسان وتتكرر منه في كل يوم وليلة صباح مساء ، ومن ثم كانت من المعاني التي حرص النبي -ﷺ- الحديث عنها ، وبيان ما يجب أن يكون ، ومالا يجب أن يحدث في هذا الأمر ، فهو من باب تعاليم المسلم شئون حياته ، والانتقال بها من حيز العادات ، إلى صورة العبادات التي يجازى بفعلها ، ويعاقب بتركها ، وتلك من بلاغة الصادق المصدوق محمد -ﷺ- وداخل في حيز قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[1] .

وجاء ذلك كله في صور بلاغية وأساليب إبداعية متنوعة ساعدت على توضيح تلك المعاني وتأكيدها لدى المخاطبين، ومن ثم شمرت عن ساعد الجد ــ بعد التوكل على الله ــ لبيان تلك السمات الإبداعية، والوقوف على بعض الصور البلاغية في حديث النبي -ﷺ- عن الطعام وآدابه ، ولذا كان عنوان هذا البحث : (**من بلاغة البيان النبوي في الحديث عن الطعام وآدابه** دراسة بلاغية تحليلية " )

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا البحث لم يقم على الحصر والاستقصاء ، وإنما ذكر بعضا من الأحاديث التي جاءت على سبيل الاختيار ، إذ يضيق المقام بذلك مهما أوتي الباحث من قوة ، أو بذل في تحقيقه من جهد ، وحسبنا من القلادة ما أحاط العنق .

(١) سورة الزلزلة : الآيات : ٧-٨ .

وكان المنهج المتبع في هذا البحث ذكر الحديث أولا بآخر راو له مع تخريجه ، وتعريف الراوي بالهامش ، ثم عرض بيان المعنى العام للحديث الشريف ، ثم أردف كل ذلك بوضع الحديث في قالب الدراسة التحليلية البلاغية ، واقفا على تلاؤم ألفاظه مع بعضها البعض ، ومجاورة الجمل وعلاقتها بما يجاورها، ودلالة ذلك على المعنى، وذلك لأن الأسلوب النبوي الشريف بناء واحد متكامل ومتماسك، ولا يقبل فصل كلمة عن جملتها ولا أسلوب عن آخر.

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني:" ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب من بعض " (١).

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يكون مكونا من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين ، وخاتمة، وفهارس فنية ٠

**أما المقدمة :** فقد تحدثت فيها عن سبب اختياري لهذا الموضوع ، مع بيان الخطة والمنهج الذي تسير عليه دراسة هذا البحث .

**وأما التمهيد:** فقد تحدثت فيه عن مفهوم العادة ، وكيف حولها الإسلام إلى عباده .

**وأما المبحث الأول :** فقد جاء بعنوان : من بلاغة النبي – صلى الله عليه وسلم – في الحث على طيب المأكل .

**وأما المبحث الثاني :** فقد جاء بعنوان : من بلاغة النبي – صلى الله عليه وسلم – في بيان آداب الطعام " .

**ثم الخاتمة :** وقد ذكرت فيها بعضا من النتائج التي توصل إليها البحث .

---

( ١) دلائل الإعجاز:عبد القاهر الجرجاني:صـ٤ ت، محمود شاكر ط :المدني، الثالثة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م .

ثم أردفت ذلك بفهرس المصادر والمراجع، فهرس الموضوعات .

وإذا كان من اللازم لكل بحث أن يكون له نظـــام يســـير عليـــه الباحث وطريق ينتهجه في بحثـــه وهو ما يسمى بالمنهج ، فالذي ينبغي التعويل عليه في هذا البحث هو المنهج الكلي التحليلي الذي يعتمد على النظرة الكلية للنص النبوي ، وتحليله في ضوء المقام الذي ســـيق لـــه الحديث الشريف .

وإنني بهذه الدراسة أكون قد حاولت أن أقتبس من هذا النور، وإن بدا لي التقصير فحسبي أني قد عزمت بلوغ الأمـــاني، والنيـــة تعظـــم العمل، ومن كتب قبلي فكمل؟! فالله أسأل أن أكون من المخلصـــين، وأن يغفر لي كل تقصير . والحمد لله رب العالمين ٠

**الباحث**

**د/ أحمد محمود محمد الجبالي**

أستاذ البلاغة المساعد

بجامعة الأزهر

## تمهيد

العادة : الديدن يعاد إليه ، يقال تعود الشيء وعاده وعاوده : أي صار عادة له [١] . والعادة كل ما اعتيد عليه حتى صار يفعل من غير جهد ولا تعب وتوجد ملازمة للإنسان في حركاته وأقواله وأفعاله ، ولذلك فهي الحالة المتكررة على نهج واحد .

ومعلوم أن كل امة من الأمم لها عادات تنتشر فيما بينها ، ويتعامل الناس بها في حياتهم الدنيوية في حالهم ومالهم ، كما أن الأمم جميعا يشتركون في عادات فطرية واحدة ، لا تخلف فيها امة عن الأخرى ، أو طائفة عن طائفة أخرى، فهي عادات ملازمة لجميع المخلوقات ، كالطعام والشراب وما شابه ذلك من العادات الحياتية المتكررة .

بيد إن الدين الإسلامي جعل لتلك العادات المشتركة بين الأمم صفات اختص بها المنتسب إلى الدين الإسلامي ، فنقل تلك الأمور الفطرية من دائرة العادات إلى حيز العبادات التي يثاب فاعلها ، ويعاقب تاركها ، فتلك العادات جزء لا يتجزأ عن العبادات المحضة ، لاسيما إن قصد بها التقرب إلى الله تعالى ، قال تعالى : {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [٢]

ومن ثم قام النبي –ﷺ– بالتوضيح للناس عاداتهم في صورة تشريعية ، تخاطب الضمير قبل مخاطبة ما ألفوه من عادات ، وما

---

( ١) لسان العرب : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى : مادة ( عود ) – الناشر: دار صادر – بيروت– الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

( ٢) سورة : الأنعام : آية : ١٦٢ ، ١٦٣ .

ورثوه من تقاليد ، وما تطلبه الفطرة من فعال ، وذلك هو الأسلوب الأمثل في الحث على فعل العادات والمداومة عليها وفق منهج رسمه النبي –ﷺ– في بيانه النبوي الشريف ، خاصة تلك العادات التي تحافظ على بقاء شخص الإنسان ، والبحث على سلامته ظاهرا وباطنا ، كجانب الطعام والشراب ، فتتحقق حينئذ طهارة بدنه الظاهر ، وصفاء طويته الداخلية ، بتلك العادات التي تلازمه ولا تنفك عنه طوال حياته . وإليك بيان ذلك تمثيلا وتحليلا .

## المبحث الأول

## من بلاغة النبي – صلى الله عليه وسلم –

## في الحث على طيب المأكل .

الطيِّب من الرِّزق هو الحَلال الذي أحلَّه الله، وهو ما كان مُستَطابًا في نفسه، غير ضارٍّ للأبدان أو العقول، وغير مُكتَسب بمعامَلة محرَّمة أو على وجْه محرَّم من وَسائِل الدُّخول، فإنَّ الأكل من الحلال من أسباب صلاح القلب وزيادة الإيمان، والنَّشاط في الأعمال الصالحة والرَّغبة في الإحسان، وهو ممَّا تُحفَظ به النِّعَم الموجودة وتُزاد، وتُستَجلَب به النِّعَم المفقودة وتُقاد، فمن لُطفِ الله بعباده أنْ يسَّر الحلال، وأرشَدَ إليه، ورغَّب فيه، ونَهاهم عن الحرام، وزجَرَهم عن الأخْذ بما يأتي به من الوسائل والأسباب، وتوَعَّدَهم على طلبه وأكله بشديد العقوبة وأليم العذاب، قال تعالى :- ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴾[1] .

وفي بيان النبي – صلى الله عليه وسلم – كثير من الأحاديث التي تحثنا على تحري الحلال في المطعم والمشرب والملبس ، والبعد عن الحرام خشية هلاك الإنسان ، ورد أعماله عليه غير مقبولة عند رب العالمين ، وإليك بعضا منها بالشرح والتحليل والتوضيح للوقوف على فصاحة النبي – صلى الله عليه وسلم – وبلاغته في الحديث عن ذلك .

---

( ١) سورة : طه ، آية : ٨١ ، ٨٢ .

## بيان أن الله طيب لا يقبل إلا طيبا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[١] ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}[٢] وَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ}[٣] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ،وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ،وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ،وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟"[٤]

في هذا قبس نبوي كريم أفصح النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فيه عن أمر له مكانه عاليه في حياة المسلم ، حيث إنه بيان لأهم شرط من شروط قبول الله تعالى لأعمال العبد ، ليكمل للناس دينهم ، وتقوى لديهم مصالح ذاتهم ، قال الإمام النووي : " هذا الحديث أحد الأحاديث التي هي قواعد الإسلام ، ومباني الأحكام، وفيه الحث على الإنفاق من الحلال والنهي عن الإنفاق من غيره وفيه أن المشروب والمأكول

---

( ١) أبو هريرة :عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، أبو هريرة كنيته كناه بها النبي ــ ﷺ ــ ، وهو من كبار الصحابة وأكثرهم رواية لأحاديث النبي ــ ﷺ ــ كان ملازما له ــ ﷺ ــ ودعا له النبي ــ ﷺ ــ بثبات الحفظ ، أسلم في السنة السابعة من الهجرة عام الخيبر ، وتوفي بالمدينة المنورة سنة :٥٧هـ ودفن بالبقيع ، وقبره معروف [ معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني : : ٤ / ١٨٨٥ ، تحقيق :ط عادل العزازي ط: دار الوطن للنشر، الرياض: الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م ) .

( ٢) سورة : المؤمنون ، آية : ٥١

( ٣) سورة :البقرة ، آية : ١٧٢

( ٤) صحيح مسلم المسمى بالمسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمام مسلم بن الحجاج – كتاب الزكاة – باب قبول الصدقة من الكسب الطيب المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

والملبوس ونحو ذلك ينبغي أن يكون حلالا خالصا لا شبهة فيه وأن من أراد الدعاء كان أولى بالاعتناء بذلك من غيره"[١].

ولأهمية المعنى الذي يحمله هذا الحديث الشريف نجد أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قد بدأ حديثه بالنداء في قوله : ( أيها الناس ) ليكمل لديهم التنبيه، وتقوى عندهم سبل التشويق والترقب قصدا لطلب الإصغاء والاستعداد لسماع أمر ذي بال ، وذات أهمية ، حيث إن النداء بـــ " أيها الناس " يتضمن من الإيضاح بعد الإبهام ، ومن إيثار النداء بالاسم المبهم " أي "، وإضافتها إلى ( ها) التي للتنبيه ، وصفته " الناس " فيه تصعيد للتنبيه ، وتأكيد على الإقبال مما يجعل المخاطب حريصا على طلب الفهم ، للوقوف على مراد الله تعالى منه على لسان نبيه محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، ومجيء المنادى بلفظ العموم " الناس " دليل على أن الكلام غير موجه إلى فئة دون أخرى ، أو طائفة معينة بذاتها، فالأمر بتحري الحلال مما يعني عامة الناس ، ومن ثم يدخل فيه الناس قاطبة إلى قيام الساعة .

وقد يكون المراد بلفظ العموم " الناس " الخاصة من الصحابة الكرام – رضي الله عنهم أجمعين – وكأنهم بتمسكهم بدينهم ، وحرصهم على تحري الحلال في جميع حياتهم قد اكتملت فيهم معاني الإنسانية كلها فصاروا بأخلاقهم كالناس كافة ، كما أنهم أنفسهم من يحملون كلام النبي– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وإيصاله إلى الناس عامة فقام الجزء

---

( ١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج المعروف بشرح النووي على صحيح مسلم – أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي : ٧ / ١٠٠ ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ

مقام الكل تساميا بمكانتهم، وإعلاء لشأنهم، فإنه " قد يُراد بالناس الفُضلاءُ دون من يَتناوله اسم الناس تجوُّزاً"(١).

ثم يأتي المعنى المراد إثباته في صورة جملة خبرية لفظا ومعنى سيقت لإثبات صفة من صفات الله تعالى ، والتنبيه على عظم ما تحمله من معنى الطهر والعفاف ، ولأهمية هذا ناسب أن يأتي الخبر مصدرا بحرف التوكيد " إن " لإفادة التوكيد والتقرير لما يراد إثباته ونسبته إلى ذات الله – تعالى – ، فقد أفاد دخول " إن " على الجملة تقريرا لما نسب إلى الخالق من وصف ، وترسيخ ذلك في ذهن المخاطبين ، حتى كأن الكلام كرر بعدها مرتين تثبيتا لمعناه ، وتفخيما وتهويلا من أمره .

كما أن التعبير بالجملة الاسمية " الله طيب " دلالة على ثبوت تلك الصفة وملازمتها له – سبحانه – على الدوام ، والجملة كناية عن صفة الكمال المطلق لله – جل في علاه – ، فلا يدخلها نقص أو عيب ، فهو المتصف بجميع صفات الجمال ، فهو " منزه عن النقائص والعيوب، ومتصف بالكمالات من النعوت " (٢) .

ويأتي قوله : لا يقبل إلا طيبا " مشتملا على أقوى طرق القصر في إفادة التخصيص ، وتأكيد المعنى ، وهو النفي والاستثناء " ؛ لما له من دور هام في تحقيق مراد النبي من الكلام وهو إقناع السامع ، وحمله على التصديق لاسيما وأن المقام إثبات صفات الكمال لله تعالى

---

( ١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى : ٥ / ١٣٩ ت: محمد علي النجار ، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م

( ٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح – أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري :٥ / ١٨٨٩ ، طبعة : دار الفكر، بيروت – لبنان – الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

من النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، ومن ثم كان هذا الأسلوب أكثر الأساليب تأكيدا وتلاؤما وتناسبا مع هذا المقام ، وهو من قبيل تنزيل العالم بالحكم المركوز في ذهنه منزلة غير العالم به ، أو الشاك المنكر له، تأكيدا له، وتشييداً من أمره؛ وإنما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء ، وإقراره في النفوس ، وهذا ما قرره الإمام عبد القاهر في قوله : " وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو: "ما هذا إلا كذا"، و "إن هو إلا كذا"، فيكون للأمر يُنْكِرهُ المخاطَبُ ويَشُكُّ فيه. فإذا قلتَ: "ما هو إلاَّ مُصيبٌ" أو: "ما هو إلا مخطئ"، قلتَه لمن يدفَعُ أن يكونَ الأمْرُ على ما قلت، وإذا رأيتَ شخصاً مِنْ بعيدٍ فقلتَ: "ما هو إلا زيدٌ"، لم تَقُلْه إلاَّ وصاحِبُك يَتوهَّم أنه ليس بزيدٍ، وأنه إنسانٌ آخرُ، ويجدُّ في الإنكارِ أن يكون "زيدًا" (١).

وقوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : ( لا يقبل إلا طيبا ) أي حلالا ، وإنما عبر بالطيب دون الحلال مشاكلة لما وصف به – تعالى – في صدر الحديث؛ ولأن لفظ الحلال معناه مخصص، ينصرف إلى الأموال والأمتعة المكتسبة من طريق مشروع ، أما لفظ الطيب فهو أعمُّ مِنْ ذلك، فيدخل فيه كل ما كان طاهرا ، سواء كان ظاهرا كأعمال الجوارح ومكتسباتها ، أو باطنا كأعمال القلوب ومعتقداتها . ، (٢) ، وعلى هذا

---

( ١) دلائل الإعجاز: صـ ٣٣٢

( ٢) نقل أبو هلال العسكري فرقا بين اللفظين بقوله : " قال بعض أصحابنا: الحلال والطيب وإن كانا متقاربين، بل متساويين في اللغة، إلا أن المستفاد من الإخبار أن بينهما فرقا في عرف الأئمة ، وكان الفرق هو أن الطيب: ما هو طيب في ظاهر الشرع سواء كان طيبا في الواقع أم لا ، والحلال: ما هو حلال وطيب في الواقع لم تعرضه النجاسة والخباثة قطعا، ولم تتناوله أيدي المتغلبة أصلا ، ينظر : "الفروق اللغوية : أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري – صـ ١٩٥،١٩٦ المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي – الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي – الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ

يكون معنى الحديث أن الله – تعالى – " لا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيباً طاهراً من المفسدات كلِّها، كالرياء والعُجب، ولا من الأموال إلا ما كان طيباً حلالاً، فإنَّ الطيب تُوصَفُ به الأعمالُ والأقوالُ والاعتقاداتُ، فكلٌّ هذه تنقسم إلى طيِّبٍ وخبيثٍ" (١).

وتكرار المسند إليه في قوله " وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين " ، للدلالة على تأكيد المعنى وتقريره في النفوس فهو أمر دائم ثابت وموجود بدوام الدنيا ووجودها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ومعلوم أن " التقرير في البيان النبوي ليس تقريرا لفظيا فحسب ، ولكنه تقرير معنوي كذلك ، يعتمد فيه النبي ــ ﷺ ــ على العبارات الحاسمة القاطعة، التي يضمها أحكاما وقضايا حاسمة قاطعة كذلك ، فهو لا يلجأ إليه بقصد التلوين الأسلوبي ، وإنما يلجئه إليه الموضوع الذي يتناوله ، والتلوين الأسلوبي في بيانه ــ ﷺ ــ يأتي تبعا لما يقصده (٢).

وإسناد الفعل" أمر" إلى الضمير العائد على المسند إليه لفظ الجلالة " الله " تربية للمهابة، وطلبا لإظهار الإجلال في نفوس المخاطبين حتى يسعى كل مخاطب أن يكون وفق مراد الله في أرضه ، وعلى المنهج الذي يرضي الله تعالى ، وذلك لما يحمله لفظ الجلالة " الله " من صفات الجلال والكمال والجمال ، ما يجعل المخاطب منصتا للكلام حتى يعي

---

( ١) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم : زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي : صـ ٢٧٥ – تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور– الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع– الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م

(٢) ينظر : تأملات في البيان النبوي د / إبراهيم عوضين :٦٩ ،الطبعة الثانية ١٣٩٩ه ، ١٩٧٩م .

المراد حرصا على أن تكون حياته كلها على ما يحبه الله تعالى ويرضى عنه ،في المطعم والمشرب والملبس بل في شئون الحياة كلها

وفي تعريف المسند إليه بالعلمية " وَإِنَّ اللهَ أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين " قصدا لإحضاره بعينه وذاته في ذهن المخاطبين بحيث يكون مميزا عن كل ما سواه ، حتى يشعر المخاطب بأنه مأمور من الله تعالى لا من عند غيره فهو مستخلف في الأرض حتى يعمرها وفق منهج الله في كونه دون تعدٍ ولا مؤاخذة بالباطل ، فينبغي أن تكون الخلافة مبنية على الطيب الحلال في الأفعال والأقوال .

واختار المؤمنين بالذكر دون المسلمين أو باللفظ العام " الناس " – كما في صدر الحديث – مع أنهم جميعا مطالبون بأكل الحلال – ؛ وذلك لأنه " كلما كان الإنسان أقوى إيماناً كان أكثر امتثالاً لأمر الله عزّ وجل" [١] ، والله – تعالى – يريد امتثال الناس جميعا بمثل ما يمتثل به المؤمن فناسب اختيار الفاعل الأقوى في الامتثال لكي يكون خير مثال فكان التشبيه بالمرسلين تقوية وتحفيزا على الامتثال بما أُمِرَ به المؤمنون .

و"ما" في قوله بما أمر به المرسلين اسم موصول بمعنى الذي ، أي الذي أمر به المرسلين وهو أكل الطيبات المنصوص عليه في قوله : { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ }[٢] ، وإنما عبر بالاسم الموصول قصدا لإقراره وتأكيد على حدوثه ، كما أن فيه دلالة على تعظيم الأمر وتفخيمه في نفس

(١) ينظر : شرح الأربعين النووية : محمد بن صالح بن محمد العثيمين : صـ ١٤٧ – الناشر: دار الثريا للنشر

( ٢) سورة : المؤمنون : آية : ٥١

المخاطب، فكأنه – تعالى – يخاطب المؤمنين خطاباً مباشراً حينما أمر المرسلين أكل الطيبات ، فيعظم الأمر ، وتقوى الهمم ، وتشتد سواعد العمل في تحريري الطيبات ، والبعد عن كل خبيث في الأقوال والأفعال، وذلك لما تحوطه( ما ) الموصولة المبهمة في دلالتها اللغوية من غموض يشعر بالتفخيم والتعظيم وعلو مكانة صلتها داخل المخاطب ولك أن تلاحظ : أن الشأن في صلة الموصول أن تكون معلومة ومعهودة إلا في مقام التفخيم والتهويل "٠

والحديث الشريف جاء في معرض النصح والإرشاد ، خاصة في باب الترهيب من الإنكباب على الدنيا بشهواتها وملذاتها ، والمسارعة في جمع المال دون الوقوف على حقيقته من حيث الحل والحرمة وبراعة الأسلوب النبوي في هذا الحديث الشريف تتمثل في ذلك الحوار القائم بين النبي ــ ﷺ ــ وصحابته الكرام ، والذي مهد له بذكر جملة في صدر الحديث تحمل معنى التخويف والترهيب ، جاء في صورة مبهمة عن عقول المخاطبين ، يحتاج الكلام معها إل مزيد من التوضيح والبيان وذلك بقوله ــ ﷺ ــ " : « وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ » وإنما قصد النبي ــ ﷺ ــ إلى ذلك الأسلوب المبهم لإثارة التشوق والترقب في النفس ؛لأن المعنى إذا ألقي أولا على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت النفس إلى معرفته ، وتطلعت إلى الوقوف على مراده على سبيل التفصيل والتوضيح لإشباع رغبتها لما تحس به من نقص في الفهم ، فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك ، فإذا ألقي عليها مُوضَّحاً ومُبَيَّناً ، أو مفسرا ومفصلا في قوله « فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} ، وَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} » ، تمكن في النفس فضل تمكن وكان شعورها به أتم [١] .

والحق أن أسلوب الإيضاح بعد الإبهام ذو قيمة عالية في توضيح المعنى وتأكيده ، بإبرازه في أوضح صورة بعد أن تشوقت له النفس وترقبت ، فيصير المعنى في نفس المخاطب في أتم صورة من التوضيح والتأكيد ، بعد أن أحاط بجميع جزئيات المعنى مجملا مبهما ثم مفصلا موضحا ، وعلمان خير من علم واحد ، [٢] زيادة عما في التعبير بهذا الأسلوب في هذا الحديث الشريف من المبالغة والتفخيم لأمر المبهم « وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ » لكونه هو الذي يطرق السمع أولا ، فيذهب في مراده العقل كل مذهب ، ومثل هذا كثير في القرآن الكريم ، والبيان النبوي الشريف ٠

وبين جملة الإبهام « وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ » وجملة التوضيح والتفصيل كمال اتصال حيث إن قوله – صلى الله عليه وسلم – : « فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} ، وَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} » بدل بعض من كل ؛ لأن هذا القول ليس كل ما أُمِرَ به المؤمنون، وليس كل ما أُمِرَ به المرسلون بل بعضا منه ،

---

( ١) ش ينظر:مواهب الفتاح في شرح تلخص المفتاح:لابن يعقوب المغربي ــ ضمن شروح التلخيص ــ : ٣ / ٢١٢ ط : دار الكتب العلمية ــ بيروت ، لبنان ــ ٠

( ٢) هذا مثل معناه: لأن تضيف على علمك الأول علماً حادثا خير من اكتفائك بمعرفتك. وأصله رجلاً وابنه سلكا طريقا، فقال الرجل يا بني: سل لنا عن الطريق: فقال الولد: إني به عالم، فقال الرجل: يا بني: "علمان خير من علم واحد" فصارت مثلاً. [ينظر: مجمع الأمثال للميداني: ٢٥٢/٢ تحقق محمد محي الدين عبد الحميد ط : مصطفى البابي الحلبي ، مصر} و: ينظر المطول في شرح تلخيص المفتاح : ٢٩١ ٠

وإنما ناسب التعبير بذلك قصدا لتحقيق المعنى وتأكيده في نفوس المخاطبين ، ومثل هذا الأسلوب يحمل بين ألفاظه معاني التحقيق والتأكيد ، ومزيد العناية والاهتمام بالشأن مع ما فيه من توضيح الخفي ، وإزالة المبهم ، وجعله ظاهرا جليا ، " فالبدل يجري مجرى التأكيد في التحقيق والتشديد ، ويجري مجرى الوصف في الإيضاح " (١) ، يقول السكاكي :" وأما الحالة المقتضية للإبدال فهي أن يكون الكلام السابق غير واف بتمام المراد وإيراده أو كغير الوافي والمقام مقام اعتناء بشأنه، إما لكونه مطلوبا في نفسه أو لكونه غريبا أو فظيعا أو عجيبا أو لطيفا أو غير ذلك مما له جهة استدعاء للاعتناء بشأنه فيعيده المتكلم بنظم أوفى منه على نية استئناف القصد على المراد ليظهر بمجموع القصدين إليه في الأول والثاني أعني المبدل منه والبدل مزيد الاعتناء بالشأن ، وأما الحالة المقتضية للإيضاح والتبيين فهي أن يكون بالكلام السابق نوع خفاء والمقام مقام إزالة له. وأما الحالة المقتضية للتأكيد والتقرير فظاهرةٌ "(٢) .

وقدم المؤمنين في الجملة الأولى لكونهم المعنيين بالكلام ، الموجه إليهم الخطاب ، الواقع عليهم أحكام التشريع ، وقدم المرسلين في الجملة الثانية "رعاية لتقدم المرسلين وتقدمهم على المؤمنين وجودا ورتبة" (٣) ، فابتدأ بما ختم به الجملة الأولى .

---

( ١) ينظر : شرح اللمع في النحو " للقاسم بن محمد الضرير : صـ ١١١ ، تحقيق : رجب عثمان محمد – طبعة : مكتبة الخانجي – القاهرة – الأولى – ١٤٢٠هأ – ٢٠٠٠م

( ٢) ينظر : مفتاح العلوم: يوسف بن أبي بكر أبو يعقوب السكاكي : صـ ٢٥٣ ، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور – الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – الطبعة: الثانية – ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧

( ٣) ينظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري :٥ / ١٨٨٩ ، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م .

والنداء والخطاب في قوله : {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} ليسا على ظاهرهما، لأن الرسل – عليهم السلام – لم يكن اجتماعهم في زمان واحد بل كانوا متفرقين وفي أزمنة متباعدة ومختلفة ، متفرقين كل إلى قومه ، والمراد بيان وتوضيح بأنّ كلّ رسول في زمانه نودي بتحري الحلال ، وإن كانوا متلبسين به وقت الخطاب " فالمحكي هنا حكي بالمعنى لأن الخطاب المذكور هنا لم يكن موجها للرسل في وقت واحد بضرورة اختلاف عصورهم. فالتقدير: قلنا لكل رسول ممن مضى ذكرهم "[١].

ويمكن أن يكون هذا النداء يوم الميثاق لخصوص الأنبياء، أو باعتبار أنه – تعالى – ليس عنده صباح ولا مساء، وفيه تنبيه على أن إباحة الطيبات شرع قديم،[٢].

والأمر في الآيتين للإباحة ما لم ينتقل الأمر إلى غيره من الحكام الشرعية على حسب حال المخاطب فيكون للوجوب إذا كانت حالة المخاطب مشرفة على الهلاك ، أو للندب كموافقة الضيف والاستعانة به على الطاعة أو غير ذلك ، وهذا سمت كل الأحكام الشرعية المأخوذة من أدلتها التفصيلية .

والجمع بين الأمر بالأكل الطيب والعمل الصالح في نداء المؤمنين والمرسلين معا طلبا لنزاهة الظاهر والباطن ، " فالأكل من الطيبات نزاهة جسمية ، والعمل الصالح نزاهة نفسانية"[٣] ، ومن ثم اجتمعت

---

( ١) ينظر : التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور:١٨ / ٦٨ – الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس – سنة النشر: ١٩٨٤هـ

( ٢) ينظر : مرقاة المفاتيح : ٥ / ١٨٨٩ .

( ٣) ينظر : التحرير والتنوير :١٨ / ٦٨

عليهم الطهارة الجسمية ، والطهارة الروحانية ، وهو ملائم لما ينبغي عليه أهل الصلاح من النبيين والصديقين والصالحين من عباده المخلصين .

ولا يخفى ما في بناء الحديث من ترغيب في الطاعة ، فإذا علم المؤمن أن ما يؤمر به قد أمر به من هو أقرب إلى الله منه حمله ذلك على الاستجابة ، وسارع إلى الامتثال والطاعة . (١)

وقدم الأمر بالأكل من الطيبات على الأمر بالعمل الصالح في النداءين إشارةً بأن العمل الصالح مترتب على الأكل الطيب ، وأن الأكل الطيب سبب في قبول العمل الصالح ، وإلا رد العمل على صاحبه – كما بينه النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد ذلك في قوله ( ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك؟) .

وفيه ينتقل الحديث إلى الإخبار عن أثر الالتزام بأكل الطيبات في قبول الأعمال ، واستجابة الدعوات ، فيذكر أن الرجل قد يعمل الأعمال الصالحة ، وقد يصل في ذلك إلى حد أن يرهق نفسه ، لكنه لم يلتزم بما أمر به المؤمن من أكل الطيبات ، فلا يغني ذلك عنه شيئا ، وتوصد أمامه أبواب الاستجابة إذا دعا ، فتناول الحلال مستلزم لإجابة الدعاء غالبا ، وتعاطي الحرام مانع من إجابة الدعاء . (٢)

---

( ١) ينظر : لمحات من هدي النبي – صلى الله عليه وسلم – وبلاغته – د / عبد الغني بركة : صـــ ٨٦ طبعة : مؤسسة دار التعاون للطباعة والنشر .

( ٢) ينظر : لمحات من هدي النبي – صلى الله عليه وسلم – وبلاغته – د / عبد الغني بركة : صـــ ٨٨ .

وقوله : ( ثم ذكر الرجل ... إلخ ) ولفظ ( ثم ) للترتيب في الوجود لا في الرتبة(١).

لمَّا بيَّن النبي – صلى الله عليه وسلم – في صدر الحديث أن الله لا يقبل إلا طيبا، وأن المرسلين والمؤمنين أمروا بالأكل من الطيبات، بين في عجزه أن طائفة من الناس تخالف هذا المسلك، ، بل يعمد إلى اكتساب الحرام واستعماله في جميع شؤونه من مأكل وملبس وغذاء، وأن ذلك من أسباب عدم قبول دعائه، مع كونه أتى بأسباب قبول الدعاء

والتعبير بالرجل ليس على سبيل الاختصاص ، وإنما يدخل في الحكم النساء أيضا ، وإنما ذكر تغليبا ، كما أن السعي على الرزق وجلب المال وطلب المعيشة – عادة – ما يقوم به الرجل دون المرأة ، فكان ذكر الرجل في هذا المقام أولى وأوضح .

وقوله : (يُطِيْلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ) ، أي يمشي من مكان بعيد قاصدا بيت الله الحرام حاجا ،أو معتمرا ، أو مجاهدا ، أو في زيارات مستحبة كصلة رحم ، أو زيارة أخ له في الإسلام دون مصلحة دنيوية ، والتعبير بالمضارع للدلالة على التجدد والاستمرار ، وتكرار الفعل مرة بعد مرة ، ( وأشعث أغبر ) حالان متداخلان، أو مترادفان ، أي: حال كونه متفرق الشعر مغبر البدن ، والجملة كناية عن حصول التعب والمشقة ، والمبالغة في تصويرها بأقوى الألفاظ ، وأوضحها دلالة على المعنى ، فالكناية لا تمنع إرادة المعنى الحقيقي للكلام .

---

( ١) ينظر : دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين : محمد علي بن محمد بن علان : ٨ / ٦٧٦ ، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا – الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان – الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م .

وقوله : ( يمد يديه إلى السماء ) حال من ضمير أشعث أو مما قبله ، أي مادا يديه إلى السماء ويرفع يدَيه متوجها إلى الله يسأله حوائجَه ، وتكمن بلاغة البيان النبوي في التعبير بالفعل ( يمد ) دون ( يرفع ) دلالة على أن الرجل في داخله غير راض عما يصنع ، ويعلم أن دعوته مردودة عليه بسبب ما يكتسبه من حرام ، ومن ثم لم يتعب نفسه برفع يديه واكتفى بمدهما تمثيلا لصورة الداعي لا غير ، وهو ما يرشحه التعبير بقوله (يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ:) دون التعبير بقوله : ( متوجها إلى السماء) حيث إن التوجه يكون بالبدن جميعه قلبا وقالبا ، وهي حال الصادق في دعواه ، المتلبس بشروط القبول ، أما الآخر فلا يعدو كونه مادا يديه فقط دون حضور القلب ، والتيقن في الإجابة طالما انه سلب من نفسه صفات الطيب والكسب الحلال ، وفرق بين أفعال الجوارح الظاهرة وأفعال القلوب الباطنة ، والمعنى أن الدعاء لا يكاد يتجاوز مقدار مد يديه لكونه مردودا غير مقبول ولا مستجاب لمخالفته وعصيانه.

وحذف جملة فعل القول في قوله (يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ ) والأصل : ( يقول : يا رب ) ؛ وذلك لكون قوله ( يا رب) " حال من فاعل (يمد) أي يمد يديه قائلًا: يا رب "[1] ،

واختيار لفظ " الربوبية " دون لفظ " الإلوهية " في قوله : (يَا رَبِّ، يَا رَبِّ ) لأن "الدعاء بلفظ الرب مؤثر في الإجابة لإيذانه بالاعتراف بأن وجوده فائض عن تربيته وإحسانه وجوده وامتنانه "[2] .

---

( ١) ينظر : شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـــ (الكاشف عن حقائق السنن): شرف الدين الطيبي :٧ /٢٠٩٦، ت: د. عبد الحميد هنداوي – ط: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة): الأولى، ١٤١٧ هـــ – ١٩٩٧م

( ٢) ينظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : ٥ / ١٨٩٠

وتكرار النداء في قوله : (يَا رَبِّ، يَا رَبِّ ) من باب الإلحاح في الطلب المطلوب في معرض الدعاء ؛ قصدا لإظهار معاني الاستعطاف والاسترحام ، الموجبات لأحوال السكينة والخشوع والمذلة لمقام العزيز الحكيم ، تقدمة لدعاء يرجى إجابته ، وكل هذه الحالات إن اجتمعت في داعٍ تحقق له سبل الإجابة ومع ذلك فلا يستجاب له .

ثم تتوالى الجملة الاسمية في قوتها ، وشدة جرسها ، وتأكيدها للمعاني ، متلاحقة متتابعة معطوفة بعضها على بعض بالواو ، وهي كلها أحوال تبين صفة هذا الرجل " وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، ومَلبسُهُ حرامٌ" ، ثم بالجملة الفعلية المبنية للمجهول في قوله " وَغُذِّيَ بالْحَرَامِ " للوقوف على فساد مسعاه ، وجرم مبتغاه ، ورفض دعواه من قبل العزيز الحكيم .

ومجيء جملة " وَغُذِّيَ بالْحَرَامِ " مبنية على ما لم يسم فاعله مناسبة لحال الصغير الذي لا يعي مصدر ما يأكله ، ولا يملك لنفسه النفع والضر ، وإنما أمره موكول لغيره وإن تعدد .

وفي ذكر قوله :" وَغُذِّيَ بالْحَرَامِ " بعد ذكره في أول الأحوال " وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ " من من قبيل التكرار للمعاني ، لدلالة اللفظ على المعنى مرددا [١] ؛ حيث أنه من جنسه ، وداخل في حكمه ، وبذلك يكون المعنى قد وصل للمخاطب مرتين فيدخل في قلبه دخول المأنوس ، ويستقر المعنى في القلب ، ويكون اقوي في الدلالة على المراد ، وهو كثير منتشر في آي الذكر الحكيم ، والشعر العربي القديم [٢] .

---

(١) ينظر : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني :٢ / ٧٣ ت : محمد محي الدين درويش ط دار الجيل بيروت ، الخامسة : ١٤٠١ هـ ١٩٨١م .

(٢) ومنه قوله تعالى: ( وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ) فإن قوله "مريب " تَأْكِيد لِمَعْنى لَفِي شَكٌّ، والمريب: المتوقع فِي الرِّيْب، وَهُوَ مُرَادِفُ الشَّكِّ، فَوَصْفُ الشَّكِّ =

وإنما جاء الكلام على هذه الصورة في هذا القبس النبوي الشريف؛ قصدا للمبالغة في تأكيد المعنى وتقريره في نفوس المخاطبين، لاسيما في مقام التحذير والتهويل من الوقوع في تلك المهلكات للأعمال، المسببة في غضب الله .

وقيل إن قوله : " وَغُذِّيَ بالْحَرَامِ " بعد قوله : " وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ " إما لأنه لا يلزم من كون المطعم حرامًا التغذية بها، وإما تنبيهًا به علي استواء حاليه، أعني كونه منفقًا في حال كبره، ومنفقًا عليه في حال صغره في وصول الحرام إلي باطنه، فأشار بقوله: " ومطعمه حرام" إلي حال كبره، وبقوله: "وغذى بالحرام" إلي حال صغره، وهذا دال علي أن لا ترتيب في الواو، وذهب المظهر إلي الوجه الثاني". (١)

وتأتي الجملة الأخيرة في قوله : " فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟" كاشفة لما أجمل وأبهم صدر في هذا الهدي النبوي الكريم في قوله : " إِنَّ اللهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبَاً " وهو استبعاد قبول الله تعالى من هذا الرجل المنغمس في الحرام ، والقائم على كل خبيث ، أي عمل يتقرب به إلى الله سواء بالدعاء أو بالأعمال الصالحة ، ومعنى : " فَأَنَّى

---

=بِالْمُرِيبِ مِنْ تَأْكِيدِ مَاهِيَّتِهِ، كَقَوْلِهِمْ: لَيْلٌ أَلْيَلُ، وَشِعْرٌ شَاعِرٌ. ومثله في الشعر العربي قول امرئ القيس :

فَيَالَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ *** بِكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِهَا *** بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلى صُمِّ جَنْدَلِ

فالبيت الأول يغني عن الثاني، والثاني يغني عن الأول، ومعناهما واحد؛ لأن النجوم تشتمل على الثريا، كما أن بذبل يشتمل على صم الجندل، وقوله " شدت بكل مغار الفتل " مثل قوله " علقت بأمراس كتان " ٠ والبيتان في ديوانه صـ ١٩ ط دار صادر بيروت : والمغار : الشديد الفتل ، ويذبل : اسم جبل ، والمصام : المكان الذي علقت فيه الثريا ، كمصام الفرس ، وهو مربطه ، والأمراس : جمع مرس ، وهو الجبل ٠

(١) ينظر : شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن): ٧ / ٢٠٩٧ .

يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟" أي كيف يستجاب لمن هذه صفته ، أو من أين يستجاب لرجل تمثل بتلك الصفات مع ما قدمه من أسباب ظاهرة لإجابة الدعاء ، " والاستفهام الاستبعادي – هنا – " تصوير بعد المستفهم عنه أن تصل إليه القدرة ، وإخراجه هذا الاخراج أتم تقريرا للبعد من مجرد الخبر ، لأن مجازات الصيغ تعبير يصاحب انفعال النفس ويصوره "(١).

وعلى كل فالحديث الشريف في مجمله أشار فيه النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى آداب الدعاء، وإلى الأسباب التي تقتضي إجابته، وإلى ما يمنع من إجابته، فذكر من الأسباب التي تقتضي إجابة الدعاء، وما يتسبب في رده على صاحبه ، ومثل هذا يعد من جوامع الكلم ، وبلاغة البيان في كلام النبي – صلى الله عليه وسلم – (٢).

(١) ينظر : الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية : الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية – دكتور / عز الدين السيد صـــ : ٣٨٢ طبعة : دار اقرأ – الأولى ، ١٤٠٤ هـــ ، ١٩٨٤ م .

(٢) الأسباب التي تقتضي إجابة الدعاء أربعة:

أحدها: إطالة السفر، والسفر بمجرده يقتضي إجابة الدعاء، كما في حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد لولده» خرجه أبو داود وابن ماجه والترمذي، وعنده: " دعوة الوالد على ولده ".

والثاني: حصول التبذل في اللباس والهيئة بالشعث والاغبرار، وهو – أيضا – من المقتضيات لإجابة الدعاء، كما في الحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم «رب أشعث أغبر ذي طمرين، مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره» .

الثالث: مد يديه إلى السماء، وهو من آداب الدعاء التي يرجى بسببها إجابته، وفي حديث سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى حيي كريم، يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين» خرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وروي نحوه من حديث أنس وجابر وغيرهما.

والرابع: الإلحاح على الله بتكرير ذكر ربوبيته، وهو من أعظم ما يطلب به إجابة الدعاء، وخرج البزار من حديث عائشة مرفوعا: " «إذا قال العبد: يا رب أربعا، قال الله: لبيك عبدي، سل تعطه» ".

[ ينظر : جامع العلوم والحكم لابن رجب : صـــ ٢٦٩ وما بعدها بتصرف ظاهر في النقل ] .

وهكذا رأينا كيف أن بلاغة الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – في أسلوب الدعوة إلى تحري الحلال ، والبعد عن الحرام ، تصل تلك البلاغة إلى قلوب المدعويين ، فتستميلهم إليها ، ، وتصل إلى عقولهم فتتقبلها مطمئنة راضية ، جزاه الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته . (١)

( ١) ينظر : لمحات من هدي النبي – صلى الله عليه وسلم – وبلاغته – د / عبد الغني بركة : صـ ٨٨.

## بيان الترهيب من أكل الحرام

عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ[١] قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ وَدَمٌ نَبَتَا عَلَى سُحْتٍ النَّارُ أَوْلَى بِهِ .... » [٢]

للترهيب في ميدان العمل الدعوي أهمية عظمى ، وتظهر تلك الأهمية في استخدامه في آي الذكر الحكيم ، وسنة سيد المرسلين محمد – صلى الله عليه وسلم – بل كان بمثابة الأسلوب الفعال في توجيه المخاطبين إلى الوجهة الصحيحة ، والأحوال الطيبة التي تقرب العبد من خالقه سبحانه وتعالى، وتقبل أعماله وترفع طيبة طاهرة ، خالية مما يشوبها ويشينها، وهذا القبس النبوي الكريم اعتمد فيه النبي – صلى الله عليه وسلم – على أسلوب الترهيب وجعله محورا أصيلا في كلامه ، إصلاحا لما علمه من أحوال الناس ، وردعا لهم عن تماديهم في غيهم وضلالهم مع اختلاف طبائعهم وميولهم .

ومما هو مركوز في طباع العامة والخاصة أن استهلال الكلام بأسلوب النداء يبعث في النفس معاني الترقب والتشوق لما يقال بعد ذلك حيث إن " النداء يهيئ المنادى وينبهه ، فيصغى بعناية وتشوق إلى ما

---

( ١ ) هُوَ كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَدِيِّ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفِ ، وَاخْتُلِفَ فِيهِ، فَقِيلَ: هُوَ حَلِيفٌ لِبَنِي قَوْقَلٍ مِنْ بَنِي عَوْفِ بْنِ الْخَزْرَجِ، وقيل: هُوَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، لَيْسَ بِحَلِيفٍ، تَأَخَّرَ إِسْلَامُهُ ثُمَّ أَسْلَمَ، وَشَهِدَ الْمَشَاهِدَ ، تُوُفِّيَ سَنَةَ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ، وَلَهُ سَبْعٌ، وَقِيلَ: خَمْسٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً [معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني : : ٥ / ٢٣٧١] .

(٢) صحيح ابن حبان – باب ذِكْرُ الْإِخْبَارِ بِإِيجَابِ النَّارِ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهَا، لِمَنْ كَانَ غِذَاؤُهُ حَرَامٌ حديث رقم ( ٥٥٦٧ ) من حديث كعب بن عجرة . حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

يوجه إليه بعد النداء ، ويرقبه ، ويتطلع إلى معرفته ، والإحاطة بـــه ، فهو طريق من طرق التشويق إلى المعنى في الحديث النبوي " [١]

واختصاص النداء بمعين «يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ» يدل على ســمو مكانة المنادى ، وارتفاع منزلته ، وقربه من نفس النبـــي – صـــلى الله عليه وسلم – ، كما أن في اختيار حرف النداء (يا) الموضـــوع للبعيـــد دلالة على أن ما وراء ذلك النداء جد خطير ويتطلب مزيدا من التنبيـــه والترقب ، كما أن فيه دلالة على أن المخاطب حينئذٍ مع تهالكـــه علـــى الامتثال كأنه غافل عنه بعيد [٢] .

وعلى ذلك يكون التعبير بحرف النداء الموضوع للبعيد موضـــع القريب من قبيل الاستعارة التبعية في الحرف ، حيث شبه نداء القريب بنداء البعيد بجامع تحقق الإقبال في كل ، ثم حذف المشبه به ، فســـرى التشبيه من الكليات إلى الجزئيات ، واستعير " يا " من جزئيات المشـــبه به لجزئي من جزئيات المشبه على سبيل الاستعارة التبعية في الحرف ، وفي ذلك من المبالغة والإيجاز ما فيه [٣].

و يزيد النبي – صلى الله عليه وسلم – طريقا آخر مـــن طـــرق شحذ الهمم وطلب الاستنفار التام والاستعداد الكامل لترقب ما يقال بعد هذا النداء المخصص بمعين بالتعبير بضمير الشأن والقصة في قوله : « إِنَّهُ لَا

(١) التشويق في الحديث النبوي " طرقه وأغراضه " دكتور/ بسيوني عبد الفتاح فيود صـــ ٣١ طبعة : مطبعة الحسين الإسلامية ، الأولى – ١٤١٤هـــ ، ١٩٩٣م .

(٢) ينظر : الأساليب الإنشائية في ضوء القرآن الكريم – دكتور/ بسيوني عرفة رضوان – صـــ ١٦٥، طبعة دار الرسالة – بدون

(٣) ينظر : أسرار النداء في صحيحي الإمام البخاري والإمام مسلم – مصطفى عبد السلام محمود باشا صـــ ٣٧ ، رسالة دكتوراه – مخطوط في مكتبة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود ١٤٣٥ هـــ ، ٢٠٠٤ م .

يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ وَدَمٌ نَبَتَا عَلَى سُحْتٍ » تعظيما للأمر وتفخيما من شأنه ، وأخذا للمخاطب على سماع ما يأتي بعده من كلام ، يقول صاحب الطراز " فإذا تقرر هذا فاعلم أن ضمير الشأن والقصة على اختلاف أحواله، إنما يرد على جهة المبالغة في تعظيم تلك القصة وتفخيم شأنها وتحصيل البلاغة فيه من جهة إضماره أولا، وتفسيره ثانيا، لأن الشيء إذا كان مبهما فالنفوس متطلعة إلى فهمه ولها تشوق إليه، فلأجل هذا حصلت فيه البلاغة، ولأجل ما فيه من الاختصاص بالإبهام لا يكاد يرد إلا في المواضع البليغة المختصة بالفخامة(١) .

ومن الصور التي يفسر فيها الضمير بمتأخر عنه ما يكون الضمير فيه ضمير الشأن والقصة والأساليب التي تصاغ على هذا الطريقة حين تصيب مواقعها تجد لها مذاقا حسنا ووقعا جليلا؛ لأن الضمير حين يطرق النفس من غير أن يكون له عائد يعود عليه يصيرها إلى حالة من الغموض، والإبهام لا قرار لها معها، فتستشرف إلى اكتشاف الحقيقة المتوارية وراء الغموض المثير، فإذا جاءت الجملة المفسرة تمكن معناها، ووقع في القلب موقع القبول، وتراهم لا يبنون الكلام على هذا الأسلوب إلا في المعاني المهمة التي يهيئون النفوس لتلقيها، ... لأن الخبر الواقع بعد ضمير الشأن لا بد، وأن يكون خبرًا ذا بال، نعم يصح ذلك إذا كان زيد، أو هند مما يكون خبر قيامه مهما؛ لأن الشأن فيه لا يقوم لمانع يعلمه المخاطب، وأدرت إخباره بزوال هذا، وأن زيدا صار يقوم"(٢) .

---

(١) ينظر:الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي: ٢ / ٧٦ ،ط:الأولى، ١٤٢٣ هـ .

(٢) ومن مواقعه الجليلة قوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} ، فقوله: هو ضمير الشأن ومفسره الجملة بعده، وواضح أن مضمونها معنى كبير هو محور الصراع في تاريخ البشرية، ولو قال سبحانه: {اللَّهُ أَحَدٌ} لما وجدت للكلام هذا الأثر، وهذا القوة التي تحسها النفس من هذه التهيئة المؤذنة بأن ما سيأتي بعدها كلام له خطر عظيم.[ ينظر : خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني: محمد محمد أبو موسى : ٢٤١،٢٤٢ ، ط : مكتبة وهبة : الرابعة : ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م] .

والنبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – يحذر أمته وينذرها من خلال هذا الصحابي الجليل كعب بن عجرة من الوقوع في براثن المهالك ، والبعد عن أكل الحرام ، وخشية استحقاق غضب الله – جل جلاله – ، ولذلك قُدِمَتْ جملة الوعيد ( الجزاء ) « إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ » على جملة العمل (الداعي إلى الجزاء ) « لَحْمٌ وَدَمٌ نَبَتَا عَلَى سُحْتٍ » ، وكان لهذا التقديم كبير الأثر في نفوس المخاطبين حيث إن تقديم الوعيد الشديد بالعقاب يجعل النفس تقدر عظم الجرم ، فتفر منه ، وتخشى الاقتراب منه خشية الوقوع فيه ومن حام حول الحمى وقع فيه (١).

كما أن في التعبير بحرف النفي " لا " في قوله : « إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ » مشعر بنوع من التيئيس والتقتيط لهؤلاء الذين اعتادوا أكل الحرام ، وغذي جسدهم به منذ بداية نبتهم ، والتعبير بنفي دخول الجنة أشد وعيدا ، وأكثر ترهيبا من النهي عن أكل الحرام مباشرة لأن نفي دخول الجنة لا يرجى منه الخلاص ، وفيه تغليظ وتشديد (٢) .

ناهيك عما في التعبير بحرف النفي " لا " من امتداد في الصوت يشعر معه طول البقاء مطرودا من دخول الجنة ، محرم عليه الاقتراب منها فلا خلاص ولا مفر من ذلك النفي المقعد ، ولذلك كان لجملة النفي دور رئيس في هذا الوعيد والإنذار ؛ حيث قرع النفوس وزجرها عن الاقتراب من كل حرام، أو الكل من كل سحت، وفيه ردع لتلك الفئة التي انغمست في شهواتها في غير ما أحله الله – تعالى – .

ومعنى « إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ »: " أي دخولا أوليا مع الناجين ؛ بل بعد عذاب بقدر أكله للحرام ما لم يعف عنه، أو لا يدخل منازله

(١) ينظر:الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية– دكتور/عز الدين السيد صـ ٣٨٨ بتصرف.
(٢) ينظر : شرح الطيبي على مشكاة المصابيح : ٧ / ٢١٣ بتصرف .

العلية، أو المراد أن لا يدخلها أبدا إن اعتقد حل الحرام، وكان معلوما من الدين بالضرورة، أو المراد به الزجر والتهديد والوعيد الشديد، ولذا لم يقيده بنوع من التقييد"(١).

وقوله : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ وَدَمٌ نَبَتَا على سُحْتٍ » بالتنكير للتحقير من شأن اللحم والدم فلا قيمة لهما مهما كانت صورتهما بسبب النشأة الخبيثة في كل منها ، وفي التعبير باللحم والدم مجاز مرسل لعلاقة الجزئية حيث إنه عبر " باللحم والدم " وأراد صاحبها الذي انغمس في أكل الحرام ، وإنما عبَّر بالجزء دون الكل لما له مزيد اختصاص بالأمر ، حيث إنه المعني بالأمر وبسببه يقع الإنسان في المحظور ، قال صاحب المرقاة :" أسند عدم دخول الجنة إلى اللحم لا إلى صاحبه إشعارا بِالْعِلِّيَّةِ " (٢)، أي بالعلة التي من أجلها استحق نفي دخول الجنة عنه .

والنبت : ظهور الزرع من الأرض ونموه فيها ، يقال :" ظهر النبت والنبات في الأرض، ونبت البقل نباتاً، وأنبته الله ونبّته، ونبّت الناس الشجر: غرسوه، ونبّتوا الحبّ: حرثوه ، ومن المجاز: نبت فلان في منبت صدق، وفي أكرم المنابت، وإنّه لحسن النبتة".(٣) أي نشأ فيه وترعرع ،" وهذا القول من المجاز ؛ لأنه – عليه الصلاة والسلام – شبه نماء أعضاء البدن بنبات أغصان الشجر ، لما بينهما من المشاكلة ؛ لأن العروق كالعروق ، والألحية ( قشر الشجرة ) كالجلود ، والإيراق كالحياة ، والإيباس كالوفاة(٤)" .

---

(١) ينظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح :٥ / ١٨٩٩ .

(٢) ينظر : السابق نفسه ١٨٩٩ .

(٣) ينظر: أساس البلاغة – أبو القاسم محمود بن عمرو ، الزمخشري جار الله مادة ( ن ب ت ) : ٢ / ٢٤٠ – تحقيق: محمد باسل عيون السود ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان : الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .

(٤) ينظر : المجازات النبوية – الشريف الرضي : صـ ٨٥ ، ٨٦ ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، ط مصطفى البابي الحلبي – مصر – الأخيرة .

وعليه فإن استخدام النبت في الحديث الشريف من قبيل الاستعارة التبعية في الفعل ، حيث شبه النبي ــ ﷺ ــ نشأة الجسم المكون من اللحم والدم ونموه بسبب ما يتغذى به ، بنبت الزرع ونموه من الأرض بجامع ما في كل منها من التغير والتبدل والتطور بسبب ما يتعهد به لبقاء نوعه ، ثم حذف المشبه :" نشأة الجسم ونموه بسبب ما يأكله يتغذى به"، وبقي المشبه به : نبت الزرع في الأرض ، و تنوسي التشبيه ، وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به مبالغة في نموه وزيادته ،ثم استعير نبت الزرع للمشبه ، ثم اشتق منه " نبت " بمعنى نشأ ونما وترعرع على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية في الفعل .

والتعبير بحرف الجر " على " دون " من " في قوله : « نَبَتَا على سُحْتٍ » إشارة على أنه تربى عليه منذ صغره ، فليست التغذية مرة واحدة ، أو مرات معدودة ، بل مرات متعددة ، وأحوال متنوعة حتى اعتاد الجسد عليها ، وتغذى لحمه ودمه منها ، وهذا يتناسب والتعبير بالنبت وما يتطلبه من رعاية ومتابعة ، دون انقطاع أو إهمال ، كما أن التعبير بحرف الجر "على " إشارة إلى أن أكل السحت علا على جميع أفكاره ، وتحكم في كل أحواله ، حتى أنه لم يعد له هم في الحياة سوى أكل السحت ، والعيش عليه ، ومن ثم كان جزاؤه أنه لا يدخل الجنة ، وأن النار أولى به .

وتأتي كلمة سحتٍ في نهاية الجملة « نَبَتَا على سُحْتٍ » نكرة للتحقير والتقبيح ، مع ما تحمله من إيحاءات تأباها النفس السليمة ، وترفضها القلوب الطاهرة ، لتضرب في جذور المعنى ، وتشتد معه نبرة الترهيب والتحذير ، والتخويف والتفظيع ، إذ أن السحت : " كلُّ حرامٍ قبيح الذِّكْر يلزَمُ منه العارُ– نحو ثمن الكلب والخمرِ

والخنزيرِ. وأَسْحَتَ الرّجلُ: وقع فيه. والسُّحْتُ: جَهْدُ العذاب. وسحتناهم– وأسحتنا بهم لغة– أي: بلغنا مجهودهم في المشقّة عليهم. قال الله عز وجل: { فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذابٍ }[١] . قال الفرزدق:[٢]

**وعَضّ زَمانٌ يا ابن مروان لم يدع ... من المال إلا مُسْحَتٌ أو مُجَلَّفُ**

أي: مُقَشَّر، ورجل مَسْحوتُ الجوف، أي: لا يَشْبَع" [٣] ، وسمي السحت الخبيث سحتا لأنه يستح البركة أي يزيلها ويمحوها ، وَلأَنَّهُ خَبِيثٌ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَدْخُلَ الطَّيِّبَ ؛ لِأَنَّ الْخَبِيثَ لِلْخَبِيثِ[٤].

ثم يعاود النبي – صلى الله عليه وسلم – أسلوب التحذير والترهيب ، ويرد عجز الحديث إلى صدره بجملة تحمل معنى ما سبق في قوله : « النَّارُ أَوْلَى بِهِ » فتتشابك ألفاظ الحديث ويشتد الترابط بينها ، كما تقوى الصلة بين المعاني وبعضها البعض ، تكرارا وتأكيدا وللاهتمام بالزجر ، وزيادة في حدة التحذير ، ومبالغة في الإنذار .

وأفعل التفضيل في قوله : « النَّارُ أَوْلَى بِهِ » ليس على بابه ليست للمفاضلة ــ هنا ــ وذلك لأنه لم يرد وصف في الكلام يدل على المفاضلة بينهما ، وإنما هو في هذا المقام من قبيل المبالغة في التخويف

---

(١) سورة : طه – بعض آية : ٦١

(٢)همَّام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارميّ، أبو فراس، الشهير بالفرزدق: شاعر، من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة، كان يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس ، كان شريفا في قومه، عزيز الجانب، يحمي من يستجير بقبر أبيه – وكان أبوه من الأجواد الأشراف – وكذلك جده ، توفي عام (١١٠ هـ – ٧٢٨ م) [الأعلام – خير الدين بن محمود بن ، الزركلي الدمشقي : ٨ /٩٣ – ط: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر – ٢٠٠٢ م ] . والبيت في ديوانه : صـ

(٣) ينظر : كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي مادة ( س ح ت ) ، د مهدي المخزومي، د / إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال .

(٤) ينظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح :٥ / ١٨٩٩ .

والترهيب لمن يقدم على هذا العمل الخبيث ، الذي تأباه الطباع السليمة ، والفطرة النقية ، والمعنى أنَّه أحق بدخول النار من الجنة ؛ لتطهره النار عن ذلك بإحراقها إياه، وهذا على ظاهر الاستحقاق، أما إذا تاب أو غفر له من غير توبة وأرضى خصومه، أو نالته شفاعة شفيع، فهو خارج من هذا الوعيد(١).

وبين جملة « النَّارُ أَوْلَى بِهِ » ، وجملة « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ وَدَمٌ نَبَتَا على سُحْتٍ » شبه كمال اتصال حيث إن جملة « النَّارُ أَوْلَى بِهِ » بمنزلة المتصلة بالجملة الأولى ؛ لكونها جوابا عن سؤال مقدر اقتضته الجملة الأولى ، فنزلت منزلته ، ففصلت الثانية عن الأولى ، كما يفصل الجواب عن السؤال الظاهر (٢).

وتكمن بلاغة التعبير بهذا الأسلوب النبوي في هذا الاتصال المعنوي بين المتكلم والمخاطب في استحضار الذهن ، والحوار النفسي الذي به يتصل الكلام في الجملتين بغير أداة ، كأن الكلام واحد ، زيادة عما في هذه الصورة من كشف الخفي وإيضاح المبهم ، وازالة الحجب عن الغامض ، وجعله ظاهرا واضحا ، زيادة عما في الجملة الثانية من هذا الاستئناف البياني فازداد به المعنى وضوحا ، وتأكد أسلوب التحذير في ثنايا الكلام وتأكيد معاني الترهيب والتخويف ، والذوق البلاغي الأصيل يهتدي إلى الاتصال الموجود في مثل هذا الموضع من مواضع الفصل ، كما اهتدى إليه في كمال الاتصال ، إذ لا فرق بين جواب

(١) ينظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح :٥ / ١٨٩٩ .

(٢) ينظر : دلائل الإعجاز : صـ ٢٣٥ ، ومفتاح العلوم : صـ ٢٦٣ ، والإيضاح في علوم البلاغة: ، جلال الدين القزويني ، المعروف بالخطيب دمشق القزويني : ٣ / ١١٩، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي ، الناشر: دار الجيل – بيروت ، الطبعة: الثالثة

سؤال صريح ، أو جواب سؤال مقدر، مادام السؤال موجودا ومعتبرا في الذهن، " لأن السؤال المقدر ليس محذوفا مهملا ، بل هو حي نابض في الذهن ، كثير الخوالج والخيالات ، وهو أدخل في البلاغة ، وأوسع مجالا من السؤال الصريح "[١] ، ولاشك أن شبه الاتصال الموجود بين الجملتين ساعد على تقوية وتلاحم المعنى، وترابط أجزاء جملتي النفي والإثبات تحمل كل منها معنى الأخرى في بناء محكم قوي لا يحتاج إلى رابط ظاهر يربط الجمل وبعضها ، وهذا جعل الألفاظ تشتد وتقوى في الدلالة على المعنى

فهذا الحديث وعيد شديد يفيد أن أكل أموال الناس بالباطل من الكبائر قال الذهبي: يدخل فيه المكاس وقاطع الطريق والسارق والخائن والزاني ومن استعار شيئا فجحده ومن طفف في وزن أو كيل ومن التقط مالا فلم يعرفه وأكله ولم يتملكه ومن باع شيئا فيه عيب فغطاه والمقامر ومخبر المشتري بالزائد هكذا عد هذه المذكورات من الكبائر مستدلا عليها بهذا الحديث ونحوه ولا يخلو بعضها من نزاع[٢].

(١) ينظر : دراسات في علم المعاني – دكتور حسن مخيمر : ١٩١ .

(٢) ينظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري : ٥ / ١٧ ، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر ، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦ .

## أطيب الكسب وأفضله بيان

عَنِ المِقْدَامِ[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»[2].

هذا الأمر يتعلق بقضية اعمار الأرض ، وما يعود على فاعل ذلك من نفع تتقاصر العبارات دون تحديده ، والاعمار وإن كان عاما ، ولفظ الحديث يخص نوعا معينا منه ، فما ذلك غلأا اهتماما بهذا النوع لعموم نفعة ، واتساع قاعدة العاملين به

صورة من هدي النبي – صلى الله عليه وسلم – جاءت لبيان وأطيب ما يمكن أن يكسبه الإنسان ، ففيه ترغيب على الكسب الحلال ، بل أطيبه ، لكونه يأتي بع كدٍ وجهدٍ وتعب ، ومن ثم حرص الإسلام على دعوة أتباعه بتحري الطيب من المطعم والمشرب والملبس ، ودلَّ على طريق ذلك ، وبين المنهج في الوصول إليه .

وهذا التوجيه النبوي الكريم جاء ليوضح مفهوم الطيب من الرزق، ويحدده تحديدا دقيقا، يمكن لكل سامع الوقوف على مراده وتحديد معانيه ، وإشعاره بأهمية ما يلقى عليه من كلام سيد المرسلين – صلى الله عليه وسلم – ومن ثم جاء بالخبر مصحوبا بما يؤكده ويقرره في النفوس ، في جملتين خبريتين لفظا ومعنى .

---

(١)الْمِقْدَامُ بْنُ مَعْدِ يكَرِبَ الْكِنْدِيُّ وَيُكْنَى أَبَا يَحْيَى، تُوُفِّيَ بِالشَّامِ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ، فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَهُوَ ابْنُ إِحْدَى وَتِسْعِينَ سَنَةً [الطبقات الكبرى : أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بابن سعد :٧ / ٤١٥ المحقق: إحسان عباس ، الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م ]

(٢) صحيح البخاري – كتاب الأطعمة – باب كسب الرجل وعمله بيده حديث رقم ( ١٧١٨١ ) عن المقدام .

وقد صدر الحديث الشريف بأداة النفي ( ما ) وهي أم الباب في النفي تأكيدا لما يحمله النفي من معنى ، وتشويقا للمخاطب وجذبا له للتركيز على ما يقال ، واختيار"ما " دون غيرها من حروف النفي لما فيه من امتداد لزمن الحال [١]، وهذا يتلاءم والحث على المسارعة على طلب الكسب من عمل اليد، والبعد عن ذل المسألة، ثم مجيء النفي مسلطا على الفعل ( أكل ) مع أن هذا الفعل دائم ومستمر ومتجدد بتجدد الحياة وبقاء الناس ، دلالة على تحقق الوصف بالخيرية في تلك الأزمنة المتعاقبة الماضي والحاضر والمستقبل ، إن تحقق شرط الكسب من عمل اليد وتحقق فضله وعظمه ، فمهما حصّل الإنسان من مصادر الكسب الحلال فلن يجد خيرا من الكسب من عمل يده ، لما فيه من نفع له بالأكل ، ولغيره بالانتفاع ، فتعم الفائدة ، وتشمل الجميع فيكثر الثواب جزاءً وفاقا ، والتعبير بتلك الأداة " ما " الداخلة على الماضي للتأكيد وتحقق الوقوع تحققا لا يستطيع أحد معه إنكار وأن هذه الخيرية أو الأفضلية من الأمور المعلومة المعهودة عند الجميع ، فيشمر عن ساعد الجد ، دون تكاسل أو خزلان .

وتركيب ما النافية مع النكرة مما يندر في اللغة العربية تشبيها لها ب" لا "[٢] ، وندرة التركيب اللفظي مناسب لندرة العمل ، وأن من يتمثل بتلك الصفة قليل من الناس كاد أو يندر وجودهم .

---

(١) ينظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم – محمد عبد الخالق عضيمة : ٣ /١١١ – طبعة : دار الحديث القاهرة – ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤ م .

(٢) ومنه قول الشاعر : وما بأس، لو ردت علينا تحية ... فليل، على من يعرف الحق، عابها ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني – أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي ، صـ ٣٣٠ ، المحقق: د فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م

والتعبير بالنكرة في سياق النفي في قوله ( ما أكل أحد ) للإفادة العموم ، وإنزال الحكم على كل فرد من عامة البشر ، لأن الكل مأمور بالسعي على الرزق ، وطلب الأكل الحلال الطيب ، ويؤيد ذلك رواية : « مَا أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ طَعَامًا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ » [(١)] ، وأكد ذلك المعنى بقوله : " قط " بفتح القاف وضم الطاء المهملة المشددة وهو ظرف لاستغراق ما مضى وباقي الأزمنة مقيسة عليه ، وذلك تأكيد لعموم النفي[(٢)] .

و( خيرا ) يحتمل أن يكون صفة لمصدر محذوف أي أكلاً خيرًا ( من أن يأكل من عمل يده ) فيكون أكله من طعام ليس من كسب يده منفي التفضيل على أكله من كسب يده وهو واضح ويحتمل أن يكون صفة لـــ ( طعامًا ) فيحتاج إلى تأويل أيضًا وذلك لأن الطعام في هذا التركيب مفضل على نفس أكل الإنسان من عمل يده بحسب الظاهر، وليس المراد فيقال في تأويله الحرف المصدري وصلته بمعنى مصدر مراد به المفعول أي من مأكوله من عمل يده فتأمله ، وروي ( خيرٌ ) بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو خير[(٣)] ، وكل الاحتمالات في إعرابه توخي معاني الأفضلية والخيرية المقصودة من هذا الهدي النبوي

---

(١) المعجم الكبير– أبو القاسم الطبراني :٢٠ / ٢٦٨ ، باب خالد بن معدان عن المقدام المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، الطبعة: الثانية ، والسنن الكبرى : بكر البيهقي باب كسب الرجل وعمل يده ، ٦ / ٢٠١٩ المحقق: محمد عبد القادر عطا – الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات – الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .

(٢) ينظر : دليل الفالحين : ٤ / ٥٢٥ .

(٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: للإمام أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين : ٤ / ٢٠ الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ

الكريم ، " فَإِن قلت: مَا الْخَيْرِيَّة فِيهِ؟ قلت: لِأَن فِيهِ إِيصَال النَّفْع إِلَى الكاسب وَإِلَى غَيره، والسلامة عَن البطالة المؤدية إِلَى الفضول وَكسر النَّفس وَالتَّعَفُّف عَن ذل السُّؤَال" (١)

واختصاص الأكل بالذكر دون غيره من أنواع الانتفاع بالمال أو الرزق ، لكونه أكثر أنواع الانتفاع استعمالا ، ومنه قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وسيصلون سعيراً } (٢) ، وهذا لا يمنع وقوع الخيرية على كل ما ينتفع به من كسب اليد ، قال صاحب دليل الفالحين : " (خيراً من أن يأكل) أي: أو يشرب أو يلبس، وذكر الأكل لأنه أغلب أنواع الاستعمال كما قيل به في قوله تعالى: {إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً} فإن المراد استعمالها بأي وجه" (٣)

والتعبير بالماضي ( ما أكل ) لتحقق وقوع الخبر والتأكيد على حصول النفي بالخيرية لأي أكل قط ، والتعبير بالمضارع ( أن يأكل ) ، ( وكان يأكل ) طلبا لتجدد واستمرار السعي على العمل ، وطلب الرزق من عمل اليد في كل زمان ومكان ، وعلى أي حال من الأحوال .

وقوله : ( من عمل يده ) كناية عن الكسب الحلال وعلى قدر الجهد على قدر الخيرية ، واختصاص اليد بالذكر لكونها أكثر الجوارح تفاعلا مع الكسب والعمل ، ولذلك كان الكسب من عمل اليد من أفضل ما يكسبه العبد ، " وَإِنَّمَا فضل عمل الْيَد لِأَن مَا تناله الْأَعْضَاء من تنَاول

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري : بدر الدين العينى :١١ /١٨٧ ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت

(٢) سورة : النساء : آية : ١٠

(٣) ينظر : دليل الفالحين : ٤ / ٥٢٦

الْأجر فِي مُقَابلَة تعبها "[١]، ويؤيد ذلك ما ورد عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ نِيَارٍ[٢]، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْكَسْبِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ»[٣] .

وعلى ذلك ففي التعبير باليد هنا مجاز مرسل لعلاقة الجزئية ، حيث أنه أطلق اليد ، وأراد كل ما يمكن الكسب به من الجوارح ، وقد ذكرت دون غيرها لما لها من مزيد اختصاص بالفعل – كما مر – " وإلا فالمراد مطلقة كالحاصل من كسب النظر كأن يستأجر لحفظ متاع، والسمع كأن يستأجر لسماع طلب درس علم، أو النظر كأن يستأجر لقراءة قرآن، أو لا من شيء من أعضائه كأن يستأجر ليصوم عن ميت، ثم المراد كما تدل عليه القواعد الشرعية كسب حلال خالص من الغش بسائر وجوهه"[٤].

ثم أكد ذلك وحرض عليه وزاده تقريرا بقوله (وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده) في الدروع من الحديد ويبيعه لقوته[٥] .

وتكرير جملة ( يأكل من عمل يده ) حملا للسامع على الامتثال والسرعة إلى الأمر المرغوب فيه من قبل الشرع [٦].

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين – جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي : ٤ /١٧٤ ، المحقق: علي حسين البواب ، الناشر: دار الوطن – الرياض .

(٢) أَبُو بُرْدَةَ بْنُ نِيَارِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ كلاب بْن دهمان بن غنم بْن ذهل بن هميم بن ذهل بن هني بن بلي بْن عَمْرو بْن الحاف بْن قضاعة. واسم أبي بردة هانئ وله عقب. وهو خال البراء بْن عازب صاحب رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وقد شهِدَ العقبة مع السبعين من الأنصار [ الطبقات الكبرى : ٣ / ٣٤٤ ]

(٣) المعجم الكبير للطبراني : ٢٢ / ١٩٧ . باب ما أسنده أبو بردة بن نيار .

(٤) ينظر : دليل الفالحين : ٤ / ٥٢٦ .

(٥) ينظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير– زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي القاهري : ٥ /٤٢٥ – الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر الطبعة: الأولى، ١٣٥٦

(٦) ينظر : الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية : صـــ ٢٨٩ .

وفي رواية أخرى للحديث (لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ )[١] وَهُوَ صَرِيحٌ فِي الْحَصْرِ مبالغة في كونه متحريا للحلال ومستقلا من أمور الدنيا ، ويحتمل مع هذا الحصر أن يكون المعنى أنه لا يكل أمر قوته إلى غيره فكان هو الذي يتعاطى العجن والطبخ، وغيرهما من آلات الأكل لنفسه وتكون الحكمة في ذكرهذه الجملة عقب التي قبلها أنه كان يكل سياسة دوابه إلى غيره ويتعاطى أمر قوته بنفسه، وهذا احتمال بعيد غير متبادر إلى الفهم والذي فهمه السلف منه ما قدمته من الاكتساب بعمل اليد [٢].

والحكمة في تعليله صلى الله عليه وسلم قوله: (ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يديه هو لأن ذكر الشيء بدليله أوقع في نفس سامعه[٣] .

وأما الحكمة في تخصيص داود بالذكر ، فهو لأن اقتصاره في أكله على ما يعمله بيده لم يكن من الحاجة، لأنه كان خليفة في الأرض[٤]، كما ذكر الله تعالى في القرآن، وإنما قصد الأكل من طريق

---

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي – كتاب البيوع – باب كسب الرجل وعمل بيده حديث رقم ( ٢٠٧٣ ) عن أبي هريرة ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

(٢) ينظر : طرح التثريب في شرح التقريب (المقصود بالتقريب: تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد) : أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي وأكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم ابن العراقي : ١٠ / ١٧٧ ، ١٧٨ ، الناشر: (دار إحياء التراث العربي)

(٣) ينظر : عمدة القاري : ١١ / ١٨٧

(٤) وهو من قوله تعالى : { يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ } سورة : ص ، آية : ٢٦

الأفضل، ولهذا أورد النبي، صلى الله عليه وسلم، قصته في مقام الاحتجاج بها على ما قدمه من أن خير الكسب عمل اليد.[١]

ووجه الخير ما فيه من إيصال النفع إلى الكاسب وغيره والسلامة عن البطالة المؤدية إلى الفضول وكسر النفس به والتعفف عن ذل السؤال وفيه تحريض على الكسب الحلال وهو متضمن لفوائد كثيرة منها إيصال النفع لآخذ الأجرة إن كان العمل لغيره وإيصال النفع إلى الناس بتهيئة أسبابهم من نحو زرع وغرس وخياطة وغير ذلك ومنها أن يشتغل الكاسب به فيسلم عن البطالة واللهو ومنها كسر النفس به فيقل طغيانها ومرحها ومنها التعفف عن ذل السؤال والاحتياج إلى الغير وشرط المكتسب أن لا يعتقد الرزق من الكسب بل من الرزاق ذي القوة[٢] .

(١) ينظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : ٤ /٣٠٦ ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب ، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩.

(٢) ينظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير : ٥ / ٤٢٥ .

## صورة أخرى من أطيب الكسب

ومما هو داخل في هذا المعنى – أيضا – ما ورد عن أَبِي هُرَيْرَةَ [١] – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا، فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ»[٢]

صورة أخرى من البيان النبوي الشريف ترسم طريقا من طرق أكل الحلال ، وتحري الكسب الطيب دون إذلال للنفس ، وإهدار لكرامتها بالمساءلة ، وهو الأكل من كسب اليد ، مع بيان أن مال الولد مال الأب ، فيأخذ منه عن طيب نفس وسعة صدر ، فالحديث توجيه من النبي – صلى الله عليه وسلم – للمخاطبين للأكل من كسب اليد .

وهذا الحديث الشريف امتداد لمعنى الحديث السابق ، وهو الدعوة إلى العمل ، والأكل من كسب اليد ، وهو مسوق لغرض التحذير والترهيب من الوقوع في صفة ذميمة غير مرغوب في الإسلام أن يتصف أتباعه بها ، وهي سؤال الحاجة من الناس ، لما فيه من ذل المسألة ، وذهاب ماء الوجه ، في حال العطاء أو المنع ، والنبي – صلى الله عليه وسلم – يريد أن يكون المسلمون جميعا في عزة نفس وعلو منزلة فيما بينهم ، فكان الحديث الشريف بمثابة الطريق المصحح للمفاهيم ، الدال على الصراط المستقيم للتعايش في عز وكرامة ، ففي هذا الحديث كراهية السؤال لكل من فيه طاقة على السعي والاكتساب وفيه ذم المسألة وحمد المعالجة والسعي والتحرف في المعيشة .

---

(١) سبقت ترجمته في الحديث الأول من البحث صـــ

(٢) صحيح البخاري – كتاب الزكاة – باب الاستعفاف عن المسألة حديث رقم ( ١٤٧٠ ) عن أبي هريرة .

وقد جاء هذا البيان النبوي في أسلوب قائم على تأكيد المعنى وتقريره منذ اللفظة الأولى في أسلوب يشعر بالغضب الشديد على من يتأتى منه هذا الفعل، وكأن حادثة وقعت هي التي جعلت النبي – صلى الله عليه وسلم – يبدأ حديثه بهذا الانفعال اللفظي المتمثل في هذا القسم النبوي الكريم «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ » فيه الحلف على الشيء المقطوع بصدقه لتأكيده في نفس السامع ، وهذا الأسلوب يستخدمه النبي – صلى الله عليه وسلم – في تعليم أصحابه خطة السير بالدعوة إلى الذين ينهجون المنهج الطبيعي لسنة النفس، وفطرة الحياة [1].

والحق أن هذه الصيغة " تعد من أكثر الصيغ التي أقسم بها النبي – صلى الله عليه وسلم – وإن نظرة سريعة في كتب الحديث النبوي تؤكد كثرة قسمه – صلى الله عليه وسلم بهذه الصيغة ، ومما يدلل على ذلك رواية ابن ماجة عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ عَرَابَةَ الْجُهَنِيِّ،[2] قَالَ: كَانَتْ يَمِينُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي يَحْلِفُ بِهَا، أَشْهَدُ عِنْدَ اللَّهِ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ»[3].

والسر البلاغي في اختيار النبي – صلى الله عليه وسلم – هذه الصيغة والإكثار منها ، كونها أبلغ في مقام النصح والإرشاد ، والدعوة إلى الأخلاق التي ترضي رب العباد ، لاسيما وأنها من الكنايات ،

---

(١) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية : صـــ ٢٥٥ .

(٢) رفاعة بْن عرابة وقيل: عرادة الجهني، ويقال: العذري، يكنى خزامة روى عنه عطاء بْن يسار، مدني، يعد في أهل الحجاز [ ينظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة – عز الدين ابن الأثير:٢٦٢/٢ ، المحقق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود ، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى ، سنة النشر: ١٤١٥هـــ – ١٩٩٤ م

(٣) سنن ابن ماجه : ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، باب يمين رسول الله – صلى الله عليه وسلم ، حديث رقم : ( ٢٠٩١ ) عن رفاعة بن عرابة الجهني تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي – الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي .

والكناية أبلغ من التصريح لما فيها من إقامة الدعوى مقرونة بالدليل ، وقريب من ذلك قوله تعالى : { فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ }[1] ، فلم يقل : قل الله مثلا ، لأن الحكم في الآية جاء مصحوبا بالدليل ، مقرونا بالبرهان الكاشف عن حقائق الأمور ، والمعنى : فما دام الله قد أنشأكم أول مرة من العدم فمن السهل عليه العودة من الوجود ، وهذا مالا يوجد في التعبير باللفظ الصريح في الكلام .

وبلاغة هذه الصيغة في هذا الهدي النبوي الكريم أنها جاءت في معرض طلب الرزق ، والحث على السعي عليه من طيب كسب اليد ، وهو أمر يحتاج إلى لفت انتباه المخاطب وجذبه إلى حقيقة عقدية مهمة ، وهي أن الله الذي خلقكم هو الذي يرزقكم ، وليس عليك إلا السعي الجاد على العمل من كسب اليد من باب الأخذ بالأسباب ، واترك الأمر كله لمسبب الأسباب وخالق الكون ورازقه الله سبحانه وتعالى ، ولا ينبغي لك أن تطلب شيئا من حطام الدنيا من غير مالكها الحقيقي وهو الله تعالى الذي نفسي بين يديه ، والتعبير بضمير المتكلم العائد على النبي – صلى الله عليه وسلم – في قوله ( والذي نفسي بيده ) زيادة في لفت الحواس إلى الكلام فيتأكد المعنى في النفس ، ويستقر في الذهن ، فيأخذ المخاطب على يديه ، ويشمر عن ساعد الجد طلبا للكسب من عمل اليد دون طلب الدنيا من غير مالكها .

وعلى هذا فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – يقسم بالله الذي روحه بيده على أن العمل مهما يكن نوعه فهو أفضل من سؤال الناس وإراقة ماء الوجه لهم، وأنه مهما يكن شاقّاً عنيفاً فهو أرحم من مذلّة

(١) سورة : الإسراء ، آية : ٥١ .

السؤال[1]

ولم يكتف النبي – صلى الله عليه وسلم – بتلك البداية الجاذبة للأسماع ، الآخذة للنفوس للإصغاء إلى ما يقال من كلام وإنما عمد – صلى الله عليه وسلم – إلى زيادة التشويق والترقب لدى السامع ، لبيان أهمية ما يقال ، فجاء الكلام مؤكداً بأعلى صور التأكيد التي تأتي لدفع إنكار أو شك في قوله : ( لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ ) " والنبي – صلى الله عليه وسلم – وإن لم يكن في خبره شك ، يؤكد لنا هذه الخبر تأكيدا للشاك أو المنكر ابتداء لنضعها أمام أعيينا موضع المسلم المجزوم به "[2] .

وإني أرى أن تلك التأكيدات المتنوعة والموجودة في هذا البيان النبي الكريم غير راجع إلى حال المخاطب ، أو إلى تنزيل غير المنكر منزلة المنكر ، وإنما هو انفعال المتكلم وهو النبي – صلى الله عليه وسلم – وانشغاله بالأمر لما يحمله من سمات أو صفات يحرص الإسلام على عدم وقوع أتباعه فيها ، وهذا الانفعال النفسي من النبي – صلى الله عليه وسلم – دليل على حرصه الشديد على أن تكون صورة كل أفراد الأمة في عز وارتفاع ، لا مذلة وانكسار ، فأمرهم بما فيه عزهم في قوله : « لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ » ، ونهاهم عن طريق الخيرية بقوله : « خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا، فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ» .

---

(١) ينظر : منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري : حمزة محمد قاسم :٢ / ٤٤ ، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م

(٢) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية : صـ ١١٣

والتعبير بالفاء في قوله: ( فيحتطب ) إشارة إلى سرعة الامتثال لأمر النبي – صلى الله عيه وسلم – دون تردد أو تقاعس للكلام لأن الخير كل الخير فيما يبلغ به النبي – صلى الله عليه وسلم – فإن سائل الناس حاجته مطالب عند سماع هذا الحديث أن يكون الاحتطاب عقيب تناول الحبل والذهاب به إلى مواطن جمع الحطب، والتعبير بتاء الافتعال في ( يحتطب) دلالة على مشقة العمل وصعوبته وشدته على كثير من الناس لاسيما الذين يركنون إلى الراحة .

والتعبير بالمضارع في قوله ( يأخذ – يحتطب ) طلبا لتجدد الفعل واستمراره طالما أنه بحاجة إلى العيش والتكسب من اجل المطعم والمشرب والملبس ، كما أن في التعبير بالمضارع استحضار الصورة في ذهن المخاطبين كأنهم يشاهدون الرجل يأخذ حبله ويحتطب مع ما فيه من تعب وجهد ومع ذلك هو خير من أن يقف على أبواب الناس للسؤال أعطوه أو منعوه ، ولا يخفى أن إتيان النبي – صلى الله عليه وسلم – هذه الأفعال المضارعة مجرة من أدوات الاستقبال برغم دلالتها على أحداث مستقبلية لقصد استحضار صورها في الحال ، تقريرا لما تدل عليه في نفس السامع بتخيله تلك الأفعال وكأنها حادثة أمامه ، ومن ثم يتأكد مدلولاتها ، وترسخ في ذهنه " إذ المضارع الخالي من علم الاستقبال يعبر به عن الاستقبال لاستحضار صورة مدلوله في الحال ، تقريرا في النفس كالمشاهد[١] .

وتقييد الحمل على الظهر (فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ ) نوع من الترقي الرتبي في إظهار التعب والمشقة وصعوبة الأمر على صاحبه ، فليس له دابة تحمله ، أو بعير تعينه على مشاق العمل، وكلما زادت المشقة

(١) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية : صـــ ٣٥٧ .

زادت الخيرية المنصوص عنها في الحديث الشريف .

وقوله : (خَيْرٌ لَهُ ) الخيرية هنا ليست على بابها ، فهي ليست من أفعل التفضيل المخفف بحذف الهمزة كما جاءت على لسان العرب[1] ، وإنما هي من قبيل قوله تعالى: { أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلا} [2]، فليس المقصود بالخيرية في الحديث أن شيئين اتفقا في صفة وزاد احدهما على الآخر في تلك الصفة ، وإنما المراد أن السعي على الرزق ولو كان شاقا فيه الخير والثواب العظيم بخلاف التكفف وسؤال الناس أعطوه أو منعوه ، وذلك لأن اليد العليا خير من اليد السفلى ، وإنما كان ذلك العمل – مع مشقته وصعوبة أمره – خيراً لأن حال المسئول منه إما العطاء ففيه المنة وذل السؤال، وإما المنع ففيه الذل والخيبة والحرمان، وكان السلف إذا سقط من أحدهم سوطه. لا يسأل من يناوله إياه .[3]

والحديث فيه التحريض على الأكل من عمل يده ، والاكتساب من المباحات، و واستحباب الاستعفاف عن المسالة .

---

(١) سورة : الإسراء ، آية : ٥١ .

(٢) سورة : الفرقان ، آية : ٢٤ ، والتَّفضيلُ المُعتبر فيهما إمَّا لإرادةِ الزِّيادةِ على الإطلاق أي هُم في أقصى ما يكونُ من خيريَّةِ المُستقرِّ وحسنِ المَقيلِ وإمَّا بالإضافةِ إلى مَا للكَفَرةِ المُتنعِّمينَ في الدُّنيا أو إلى ما لَهُم في الآخرةِ بطريق التَّهكُّمِ بهم [ينظر : الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية : نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان :٢ / ٢٦ ، الناشر: دار ركابي للنشر – الغورية، مصر ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م ]

(٣) ينظر : عمدة القاريء : ٩ / ٤٩ ، ٥٠ .

## المبحث الثاني

### من بلاغة النبي – صلى الله عليه وسلم – في بيان آداب الطعام ".

عن عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ[١] ، يَقُولُ: كُنْتُ غُلاَمًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « يَا غُلاَمُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ .[٢]

هذا الحديث الشريف داخل في باب تربية النبي – صلى الله عليه وسلم – لصحابته الكرام منذ نعومة أظفارهم ، والحرص على أن تكون النشأة طيبة خالية مما يعوق مسيرة الدين الإسلامي الذي سيبنى وينتشر بسواعد الأجيال الأولى ، وعلى أكتاف الرعيل الأول من الصحابة الكرام ، وليس الأمر مقتصرا على تعلم أمور الدين أو العقيدة من عبادات ومعتقدات ، وإنما منهج حياة متكامل ، يشمل جميع مانحي الإنسان المختلفة .

وإذا كانت مطابقة الكلام لمقتضى الحال هي آية البلاغة لدى المتكلم ، فان النبي – صلى الله عليه وسلم – أفصح العرب كلاما ، وأتمهم بيانا ، حين جعل مقتضى الحال هو الحاكم فيما يقال من كلام ، وذلك لما رآه من غلام حدث السن ، أخطأ في فعلٍ عادة ما يتكرر ممن هم في حالته ، وتحتاج الحالة معها إلى تقييم وتقويم ، على حسب

---

(١) عُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ رَبِيبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، أُمُّهُ: أُمُّ سَلَمَةَ ، أَسْنَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ دُونَ الْعَشَرَةِ، تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ ابْنِ تِسْعِ سِنِينَ ، تُوُفِّيَ فِي وِلَايَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ [ ينظر : معرفة الصحابة لأبي نعيم :٤ /١٩٣٩] .

(٢) صحيح البخاري – كتاب الأطعمة – باب التسمية على الطعام حديث رقم( ٥٣٧٦) عن عمر بن سلمة .

الموقف وحال المخاطب ،ولنترك المجال لراوي الحديث عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ – رضي الله عنه – لينقل لنا الحال التي عليها ، وقت قول النبي – صلى الله عليه وسلم – هذا الهدي النبوي الشريف .

يقول عمر بن أبي سلمة : ( كنت غلاما ) حيث دخل النبي – صلى الله عليه وسلم – بأم سلمة وهو ابن ست سنين ، فهو يقص الحال بعين الحاضر المشاهد ، والتعبير بالماضي دلالة على أن ذكره للحديث كان بعد بلوغ الحلم ، وأصبح مما يؤخذ منه ويرد ، وقوله ( في حجر النبي – صلى الله عليه وسلم – ) كناية عن ملازمته للنبي – صلى الله عليه وسلم – وأنه تحت نظره ورعايته وتعهده ، يقال : فلَان فِي حجر فلَان أَي: فِي كنفه ومنعته[١] ، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: {وربائبكم اللائي فِي حجوركم}[٢] ، والتعبير بالحجر لكونه أقرب المواضع قربا لعين الناظر ، وهذا يدل على قربه منه كمال العناية والحرص من النبي – صلى الله عليه وسلم – بهذا الغلام، ومن ثم فإن ما يأمره به، أو يعلمه إياه يكون محط اهتمام وعناية من المخاطب حتى وإن كان غلاما صغيرا ، فإن " تعليم الصغار لمثل هذه الآداب لا ينسى، يعني أن الطفل لا ينسى إذا علمته وهو صغير، لكن إذا كبر ربما ينسى إذا علمته، وربما يتمرد عليك بعض الشيء إذا كبر، لكن ما دام صغيراً وعلمته يكون أكثر إقبالاً" [٣]

(١) ينظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري : ٢١ /٢٩ .

(٢) سورة النساء : آية : ٢٣ .

(٣) ينظر : شرح رياض الصالحين : محمد بن صالح بن محمد العثيمين :٣ /١٧٢ – الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض – الطبعة: ١٤٢٦ هـ

وقوله (تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ ) أي تتحرك وتمتد إلى نواحي الصحفة يمنا ويسارا ، ولا تقتصر على موضع واحد ، وأصل الطيش خفة العقل ذَهابُه حَتَّى يَجهل صاحبُه مَا يُحاول، وطَيش الحِلْم: خِفَّتُه[١] ، والصفحة : دون القصعة ، وهي ما تسع ما يشبع خمسة فالقصعة تشبع عشرة[٢] ، أي أنه لم يكن يراعي أدب أكل ، ولا مستلزماته ، وفي إسناد الطيش إلى اليد مجاز عقلي لعلاقة السببية حيث إن اليد هي السبب الظاهر للطيش ، مبالغة في الوصف ، دلالة على شدة الحاجة لتلك الحال إلى التعليم والإرشاد لمن أخطأ الدرب ، وابتعد عن المطلوب في مثل تلك الأحوال والتي عادة ما يتكرر فعله كل يوم .

ثم يأتي حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – وقد جعل تلك الحال التي جاءت على لسان عمر بن أبي سلمة مطيته التي يتوصل بها إلى غرس آداب في نفوس المخاطبين لاسيما تلك المرحلة من العمر التي تحتاج تحديد المفاهيم وإبرازها في دقة في التعبير ، وإيجاز في الأسلوب .

وقد استعان النبي – صلى الله عليه وسلم – في هذا الحديث الشريف الموجز بوسائل أدائية صوتية تكفل لتلك الأوامر التي حملها على سبيل التأديب والتعليم للوصول إلى أقصى ما يمكن أن تصل في قوله " يا غلام " بأداة النداء الموضوعة للبعيد إشارة إلى أنه ينادي لأمر هام عظيم ، ذي وقع خطير، وغالبا ما يتقدم حين يعظم الأمر لدى المتكلم ، فيبدأ به بين يدي حديثه لضمان اهتمام المخاطب ،ومن ثم

(١) ينظر : لسان العرب : مادة ( طيش )

(٢) ينظر : السابق : مادة ( صفح )

يجمع عقله وقلبه ليلتفت إليه ، ويصغى إلى الكلام(١).

وافتتاح الحديث بهذا النداء [ يا غلام ] باستخدام حرف النداء الموضوع للبعيد وما تحمله من دلالات صوتية لا توجد في غيرها ، حيث إن صوتها يتشكل في جوف الفم مع حركة انفتاح الفك الأسفل باتجاه الصدر ، وهذا يعني انه يخرج من أقصى الحلق مما يلتصق بالقعر لتجويف الفم ، مما يجعله بعيد المنطق ، وأكثر التصاقا بالنفس الداخلية لتردد في الصدر ، ولا شك أن تلك السمات تساعد على جذب هذا الغلام للكلام لاسيما وأن دواعي انصرافه عن الكلام حاضرة معينة ، لكونه صغيرا حدثا ، وأمامه ما يشغله عن الحديث والمحاورة وهو الطعام ، ومن ثم اختار النبي – صلى الله عليه وسلم – تلك الأداة الموضوعة للبعيد لتطابق حال المخاطب ، فوضع من لا يعقل معنى النداء موضع البعيد الذي لا يسمع إلا بعد طول مد (٢) ، زيادة عما في صدر النبي – صلى الله عليه وسلم – من حرص دائب على تهذيب هذا الغلام ، وتقويم ما اعوج منه ، كيف لا وهو ربيب بيت النبوة ، كامن في أحشاء أحدى نسائه وهي السيدة أم سلمة – رضي الله عنها .

وفي رواية الترمذي " يا بني ادن إليَّ " وكلا الروايتين تدلان على حنو النبي – صلى الله عليه وسلم – وعطفه بالغلام وتوجيهه دون عنف ولا غضب ، بيد أن رواية الترمذي " يا بني " أبلغ في مقام النصح والإرشاد لأن فيها تأكيدا لمعنى الحنو والعطف ، إذ الابن أقرب قربا إلى

(١) ينظر : الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم،أد /صبَّاح عبيد دراز:صـ ٢٧٦، مطبعة الأمانة ــ مصر ، الأولى :١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م.

(٢) ينظر : رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي : صـ ٤٥٢ ت : أحمد محمد الخراط ط : مجمع اللغة العربية بدمشق

القلب ، وألطف مأخذا عند النصيحة ، وأشد حرصا من الأب على تقويم ابنه وإرشاده إلى ما فيه صلاحه وفلاحه ، جاء في تاج العروس:"والابْنُ ، بالكسْرِ: (الوَلَدُ) سُمِّي بِهِ لكَوْنِهِ بِنَاء للأبِ، فإنَّ الأبَ هُوَ الَّذِي بَناهُ وجَعَلَهُ اللَّهُ بِنَاءً فِي إيجادِهِ" (١)، فلفظ الابن " يُفِيد الِاخْتِصَاص ومداومة الصُّحْبَة ولِهَذَا يُقَال ابْن الفلاة لمن يداوم سلوكها ، وَابْن السرى لمن يكثر مِنْهُ وَتقول تبنيت ابْنا إِذا جعلته خَاصّا بك وَيجوز أَن يُقَال إِن قَوْلنَا هُوَ ابْن فلَان يَقْتَضِي أَنه مَنْسُوب إِلَيْهِ ولِهَذَا يُقَال النَّاس بَنو آدم لأَنهم منسوبون إِلَيْهِ وَكَذَلِكَ بَنو إسرائيل والابن فِي كل شَيْء صَغِير فَيَقُول الشَّيْخ كَانُوا يسمعُونَ أممهم أَبْنَاءَهُم ولِهَذَا كني الرجل بِأبي فلَان وَإِن لم يكن لَهُ ولد على التَّعْظِيم والحكماء وَالْعُلَمَاء يسمعُونَ المتعلمين أبناءهم وَيُقَال لطالبي الْعلم أَبنَاء الْعلم " (٢)

كما أن اللفظ ذاته فيه معنى البناء والتمام ، الذي هو أصل التربية ، وتمام وظيفتها فالْبَاءُ وَالنُّونُ وَالْيَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ بِنَاءُ الشَّيْءِ بِضَمِّ بَعْضِهِ إِلَى بَعْضٍ. تَقُولُ بَنَيْتُ الْبِنَاءَ أَبْنِيهِ" (٣) ، وسمي الابن ابنا لأنه بناء أبيه وسبب في وجوده ، والحق أن تمام البناء يكون بتعلمه ونصحه وإرشاده .

ثم يشرع النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد تلك المقدمة الجاذبة

---

(١) ينظر : تاج العروس من جواهر القاموس : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي : مادة ( بني ) المحقق: مجموعة من المحققين طبعة : دار الهداية .

(٢) ينظر : الفروق اللغوية : أبو هلال الحسن العسكري :٢٨١، ٢٨٢ ، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم ، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر

(٣) ينظر : معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، : مادة ( بني ) المحقق: عبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار الفكر : ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩

لسمع وعقل الغلام إلى عرض أوامره التي جاءت لغرض التعليم والإرشاد في ثلاث جمل قصيرة تلائم حال المخاطب ، مخاطبة ذهنه قصدا للحفظ ، وقلبه قصدا للعمل والتعلم ،وإذا كان أعل النظر في البلاغة يفضلون الفقر القصيرة في الكلام شحذا للهمم ، وإطراءً للأذان ، فإن هذا الحديث الشريف وما يحتويه من معنى نلحظ فيه تلك الجمل القصيرة ، وهي حاملة أساليب أمر خرج إلى معنى النصح والإرشاد على سبيل الندب أو الاستحباب على أرجح الأقوال وذلك في قوله:

**سم الله**

**كل بيمينك**

**كل مما يليك**

على هذا النمط الفريد من قصر الأولى وتوسط الثانية وطول الثالثة وان كان ذلك التفاوت بنسب متقاربة لا تكاد تلحظ " على أننا إذا كنا نصنع هذا الصنع الذي يصل إلى التكلف في نظر القارئ – نقرأ هذا الحديث ذاته ، فلا تحس الأذن إلا سلامة جرس ، وطيب نغم ، وسلامة نطق ، دليل الملكة والطبع ، وائتلاف اللفظ مع المعنى "[1]

وإن كان العلماء وشراح الحديث قد اختلفوا في ماهية الأمر هل هو للوجوب أو الندب والاستحباب فإن ذلك يمكن في البدء بالتسمية طلبا للبركة ، أو الأكل مما يليه طلبا لحسن التأدب والتعامل مع صاحبه على الطعام ، أما الأمر بالأكل باليمين فإني أراه قد يصل الأمر فيه إلى حد الوجوب ، لوجود ما يقوي ذلك .

(١) ينظر : الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية : صـــ ٢٨٦ .

ففي حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ "(١) .

وفي حديث عَنْ جَابِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَأْكُلُوا بِالشِّمَالِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ، يَأْكُلُ بِالشِّمَالِ»(٢)

فالحديثان الشريفان يحملان معنى الترغيب والترهيب ، بأسلوب الأمر في الأول، والنهي في الثاني ، وكل واحد منهما هنا جاء مقرونا بالدليل مشفوعا بالحجة التي تؤيد ذلك ما لم يكن ثمة ما يعوق ذلك من مرض أو غيره ، وعليه فالأمر في قوله " وكل بيمينك " على سبيل الوجوب ، جاء في عمدة القاري " أَن الْأَمر بِالتَّسْمِيَةِ مَحْمُول على النّدب عِنْد الْجُمْهُور، وَأما الْأكل بِالْيَمِينِ فقد ذهب بَعضهم إِلَى أَنه وَاجِب لظَاهِر الْأَمر ولورود الْوَعيد فِي الْأكل بالشمال(٣) فقد ورد أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ." (٤)

وتكمن بلاغة تلك الجمل الثلاث – أيضا – أنها جاءت في صورة المساواة ، حيث كانت الألفاظ مساوية للمعاني، فهي من جهة نسب

(١) صحيح مسلم – كتاب الأطعمة – باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما – حديث رقم (٢٠٢٠ ) عن ابن عمر.

(٢) صحيح مسلم – كتاب الأطعمة – باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما – حديث رقم (٢٠١٩ ) عن جابر.

(٣) ينظر : عمدة القارئ شرح صحيح البخاري : ٢١ / ٢٩ .

(٤) صحيح مسلم – كتاب الأطعمة – باب آداب الطعام والشراب – حديث رقم (٢٠٢١ ) عن سلمة بن الأكوع .

الكثافة بين الألفاظ والمعاني جاءت مطابقة لمقتضى حال المخاطب، فلا زيادة للتوضيح، ولا نقصان بالحذف والإيجاز، وتلك القدرة على المطابقة التامة بين الجمل المنطوقة، والمعاني المفهومة من الحديث،" فهي من القدرات النادرة في المتكلمين من الناس، لأنَّ الناسَ في النِّسْبَةِ العظمى منهم إمّا أن يكونوا من ذوي القدرة على الكلام والرغبة فيه مع تَمتُّعِهم بذاكرة كلاميّة واسعةٍ وفيّاضة، فتفيض لديهم منابع القول، وبذلك يزداد المنطوق من كلامهم عمّا يريدون التعبير عنه من المعاني.

وقد يصل بعض هؤلاء إلى مستوى الإسراف والتبذير في القول، والثرثرة بلا طائل، وللنساء النّصيبُ الأكبر من هذا ، وإمّا أن يكونوا ميّالين إلى قلّة الكلام وإيثار الصّمت إلاَّ عند الحاجة الماسّة، بسبب ضابطٍ حكيمٍ من عقولهم، أو بسبب شعورهم بالعجز عن استدعاء الكلماتِ المعبِّرات عمّا يُرِيدون من المعاني، إذْ لا تُساعدهم ذاكرتُهُمْ على اختيار الكلمات المناسبات لما يُريدون التعبير عنه، أو يُصابون بالْعِيّ والْحَصَرِ في مواقف الرَّغبةِ أو الرَّهبة، أو اضطراب النفس وقَلَقِها لأمْرٍ ما، فيَتَعَثَّرون في الكلام، ويحاولون عند الحاجة إليه اختيار أقلّه، للدلالة عما يريدون التعبير عنه، أو تكون ألسنتهم ثقيلة الحركة يتعثر فيها النطق بحسب فطرتهم.

لكنَّ الذين يتحلَّوْن بالقدرة على القول الكثير، والقدرة أيضاً على ضبط نفوسهم وألسنتهم عن شهوة الكلام والإطالة فيه، وعلى اختيار الكلام المساوي تماماً للمعاني التي يريدون التعبير عنها دون زيادة ولا نقص، فَهُم القلّة النادرة من الناس "[1]

(١) ينظر : البلاغة العربية – عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي :٢ /١٦ ، ١٧ ، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م .

وبالتتبُّع نلاحظ أنّ الكلام المطابق للمعاني الّتي يراد التعبير عنها به حتى يكون بمثابة القوالب لها تماماً كلامٌ نادرٌ، وهو الأقلّ دواماً من مجموع الكلام ومنزلته رفيعة جدّاً إذا كان فى الموضوعات التي يحسُنُ أن يكون الكلام فيها مطابقاً للمعاني المرادة منه تماماً، لا زائداً ولا ناقصاً"(١)

والحق أن المساواة في البلاغة العربية جزء لا يتجزأ منها تطلب حين يحتاج المقام لها كما يطلب قسميها الإيجاز والإطناب ، فهي من باب تحديد المعاني ، والتركيز عليها ، دون إطالة أو تقصير ، فهي حجة حين يقتضيها المقام ، برهان حين تفصح عن مراد المتكلم من أفكار تصل إلى المخاطب في أحسن صورة من اللفظ .

وحديث النبي – صلى الله عليه وسلم – مع قلة مبانيه ، واحتوائه على جمل قليلة – إلا انه جاء وافيا للغرض في أبهى صورة ، وأحسن طريق باختيار بلاغة المساواة لإيصال المراد إلى غلام لم يتجاوز مرحلة اللهو واللعب وعدم التركيز على الكلام ، فكان الكلام بعيدا عن الإطناب الذي ينسي آخره أوله ، أو الإيجاز الذي تختفي معانيه خلف ألفاظه ، ولا يستطيع غلام الوقوف عليها ، ومن ثم ناسب أن يكون المساواة بابا يدخل به النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى ذهن الغلام وعقله تركيزا وتوضيحا وبيانا .

وقضية المساواة في الكلام ، وهل هي من البلاغة ؟ أو يقتصر على الإيجاز أو الإطناب لكي تكون قوالب للمعاني طيا وبسطا دار الكلام فيها كثيرا بين النقاد والبلاغيين ، حتى استقر القول على أن لكل

(١) ينظر : السابق : ٢ / ١٧ .

من المقامات الثلاثة أحوالا متعينة ، ومقتضيات مختلفة ، تكون كل منها في غاية البلاغة والبيان حين تضع موضعها ، وليست المساواة أقل حظا من الناحية البلاغية في أداء المعنى ، يقول أسامة بن منقذ " اعلم أن النقاد قالوا: ينبغي أن يكون اللفظ على قدر المعنى، ولا يكون أطول منه ولا أقصر، ولذلك قالوا: خير الكلام ما كانت ألفاظه قوالب لمعانيه، فمتى كان اللفظ أكثر من المعنى كان الكلام واسعاً وضاع المعنى فيه " (١)

وقد استشهد النقاد على ذلك بقول الشاعر :

**ولَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنًى كُلَّ حَاجةٍ *** ومَسَّح بالأركان مَنْ هو ماسحُ**

**وشُدَّت على دُهْم المهَارَى رِحَالُنا *** ولم يَنْظُر الغادي الَّذِي هو رائحُ**

**أخذْنا بأطراف الأحاديث بَيْنَنـــــا *** وسَالَتْ بأعناق المطيِّ الأباطــحُ**

يقول أبو هلال العسكري :" وليس تحت هذه الألفاظ كبير معنى، وهى رائقة معجبة، وإنما هى: ولمّا قضينا الحجّ ومسحنا الأركان وشدّت رحالنا على مهازيل الإبل ولم ينتظر بعضنا بعضا جعلنا نتحدّث وتسير بنا الإبل في بطون الأودية ".(٢)

ويقول ابن طباطبا معلقا على تلك الأبيات:" فإن فائدة هذا الشـــعر هو استشعار قائله لفرحة قفوله إلى بلده، وسروره بالحاجة التي وصفها من قضاء حجه، وأنسه برفقائه ومحادثتهم، ووصفه سيل الأباطح بأعناق

(١) ينظر : البديع في نقد الشعر : أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن منقذ :١٥٤، تحقيق: الدكتور أحمد أحمد بدوي، الدكتور حامد عبد المجيد ، مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى ، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – الإقليم الجنوبي – الإدارة العامة للثقافة .

(٢) ينظر : كتاب الصناعتين – أبو هلال العسكري : صـــ ٥٩ تحقيق: علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت ، عام النشر: ١٤١٩ هـــ .

المطي كما تسيل بالمياه، فهو معنى مستوفى على قدر مراد الشاعر" . (١)

وكلا العالمين ناقد بصير بفنون الكلام ، عالم بفنون القول ، وجماليات التعبير ، فوقف كل منهم على جهة معينة في الحكم على تلك الأبيات أنها رائقة معجبة ، او فائدة استشعار لمعنى الفرح والسرور لا غير دون زيادة أو نقصان ، والذي جعل هذا الكلام مفيدا في بابه ، معجبا رائقا لدى الأسماع والعقول ، كونه جاءت الألفاظ لا تعدو معانيها ، وكادت المعاني أن تقف على حد اللفظ الظاهر دون النظر إلى المعنى المختفي والمسمى بمعنى المعنى ، وإن كان الإمام عبد القاهر الجرجاني ( ت ٤٧١ هـ ) ذهب إلى أن في تلك الأبيات من المزية والفضل ما لا يوجد في غيرها وجعلها من الكلام الموجز في اللفظ الحامل للمعاني فيقول :" فانظر إلى الأشعار التي أَثنوا عليها من جهة الألفاظ، ووصفوها بالسلامة، ونسبوها إلى الدَّماثة، وقالوا: كأَنَّها الماءُ جَرَياناً، والهواءُ لُطفاً، والرياضُ حُسْناً، وكأنها النَّسِيم، وكأنها الرَّحيقُ مِزاجها التَّسْنِيم، وكأنها الديباج الخُسْرُوانيّ في مَرامي الأبصار، ووَشْيُ اليمَن منشوراً على أذْرُع التِّجَار، ( ويذكر الأبيات ) ثم يقول :

ثم راجعْ فكرتَك، واشْحَذْ بصيرتَك، وأحسِنِ التأمُّل، ودع عنك التجوُّز في الرأي، ثم انظر هل تجدُ لاستحسانهم وحَمْدهم وثَنائهم ومَدحهم مُنْصَرَفاً، إلاّ إلى استعارةٍ وقعت موقعَها، وأصابت غَرَضها، أو حُسن ترتيب تكاملَ معه البيانُ حتى وصلَ المعنى إلى القلب مع

(١) ينظر : عيار الشعر – : محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن : صـ ١٣٨ ، المحقق: عبد العزيز بن ناصر المانع ، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة .

وصول اللفظ إلى السمع، واستقرَّ في الفهم مع وقوع العبارة في الأذن، وإلا إلى سلامة الكلام من الحشو غير المفيد، والفضل الذي هو كالزيادة في التحديد، وشيءٍ داخَلَ المعاني المقصودَة مداخلةَ الطفيليّ الذي يستثقل مكانهُ، والأجنبيّ الذي يُكره حُضوره، وسلامتهِ من التقصير الذي يَفْتَقِر معه السامِعُ إلى تَطَلُّب زيادةٍ بقيت في نفس المتكلم، فلم يدلَّ عليها بلفظها الخاصّ بها، واعتمد دليلَ حالٍ غير مُفْصِح، أو نيابةَ مذكورٍ ليس لتلك النِّيابة بمُسْتَصلَح". (١)

وعودة إلى البيان النبوي الكريم نجد أن هذا القبس النبوي جاء مع سهولة ألفاظه ووضوح معانيه مع مساواة القالب الظاهري لما هو كامن في داخله من معان سهل على المتلقي القبول لتلك الأوامر ، وسرعة الاستجابة والامتثال وتحقق ذلك في تعبير الصحابي بالفاء الدالة على الترتب على الفور بقوله " فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ " وما تحمله من حرص شديد من ذلك الغلام مع حداثة سنه ، على الامتثال وعدم الترك ، وما كان ذلك غن كان التعبير موجزا يحتاج إلى تفصيل وتوضيح ، أو مبسوطا مطنبا يمكن لمن هذه حاله أن ينسيه آخر الكلام ما سمعه أولا ، فالكلام ينسي بعضه بعضا .

وأشار بقوله: (تلك) إلى جميع ما ذكر من الابتداء بالتسمية والأكل باليمين والأكل مما يليه.

وقد يلتبس على البعض شواهد المساواة بإيجاز القصر ، إلا أننا نستطيع أن نفرق بينهما بأن ايجاز القصر يحتاج إلى بسط في المعاني

(١) وتطرق الإمام إلى تفصيل ذلك بشيء من التحليل والتوضيح ، [ ينظر :أسرار البلاغة : أبو بكر عبد القاهر الجرجاني : صـــ ٢١ – ٢٤ ، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر : مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة] .

مع قلة ألفاظ المباني ، أما المساواة فإن اللفظ محاذ ومطابق للمعنى دون زيادة أو نفصان – كما في هذا الهدي النبوي الكريم ، الذي يعد علامة من بلاغة مقام المساواة في البيان النبوي لاسيما والحالة هذه .

والحق " أنّ القادر على ضَبْطِ كلامه وجَعْلِه مطابقاً لما يريد من المعاني دون زيادة ولا نقصان متكلّم ماهرٌ جدّاً، وهو بمثابة من يمشي على طريق مطابق لحدود مواطئ قدميه تماماً، إذا انحرف يميناً أو شمالاً خرج عنه فأساءَ مُنْحَدِراً أو صاعداً أو ساقطاً ".(١)

والحديث الشريف في مجمله ، مع تعدد جمله جاء على هذا النمط من السهولة واليسر مما جعل الغلام يترنم به في غدوه ورواحه كأنه قطعة نصية أمر بحفظها والعمل بها منذ صغره، ( يا غلام – سم الله – وكل بيمينك – وكل مما يليك )على عادة الصبيان والغلامان في المدارس والمحافل العلمية المختصة بذلك ، وكان هذا البيان النبوي الشريف أنموذجا يحتذى به في تربية النشأة في كل مكان ، وقاعدة أساسية في بناء جيل يعتمد على غرس الأخلاقيات في نفوس الأجيال المتعاقبة على مر الزمان واختلاف الأماكن والأحوال .

(١) ينظر : البلاغة العربية – عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي :٢ / ١٧

## بيان ذم الأكل متكئًا

عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ [١] قَالَ كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ «لاَ آكُلُ وَأَنَا مُتَّكِئٌ»،[٢] وفي رواية : «لَا آكُلُ مُتَّكِئًا »[٣] وفي رواية : «إني لَا آكُلُ مُتَّكِئًا»[٤] ، وفي رواية: «أما أَنا فَلَا آكل مُتكئا» [٥].

في هذا القبس النبوي الكريم يرشدنا النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى أمر من أمور العادة ، والتي يظن بعض الناس أن الأمر فيها مباح ، وهو باب من أبواب التربية النبوية لصحابته الكرام ، والحرص على أن يتمثلوا بأفضل صورة في جميع أحوالهم ، سواء كان في العبادات ، أو كان ذلك من قبيل العادات .

والاتكاء على ما فسره الإمام الخطابي فإنه قال المتكئ هنا المتمكن في جلوسه من التربع وشبهه المعتمد على الوطاء تحته قال وكل من استوي قاعدا على وطاء فهو متكئ ومعناه لا آكل أكل من يريد الاستكثار من الطعام ويقعد له متمكنا بل أقعد مستوفزا وآكل قليلا

---

(١) وَهْبُ بْنُ عَبْدِ اللهِ أَبُو جُحَيْفَةَ السُّوَائِيُّ، مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، سَكَنَ الْكُوفَةَ، كَانَ عَلَى شَرْطَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب، تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا، وَأَبُو جُحَيْفَةَ لَمْ يَبْلُغِ الْحُلُمَ، وَتُوُفِّيَ أَبُو جُحَيْفَةَ فِي وِلَايَةِ بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ عَلَى الْكُوفَةِ [ معرفة الصحابة :٥ / ٢٧٢٢ ]

(٢) صحيح البخاري – كتاب الأطعمة – باب الأكل متكئا – حديث رقم ( ٣٥٩٩ ) عن أبي جحيفة

(٣) سنن ابن ماجة – باب الأكل متكئا – حديث رقم ( ٣٢٦٢ ) عن أبي جحيفة السوائي

(٤) مُخْتَصَر صَحِيحُ الإِمَامِ البُخَارِي : أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الأشقودري الألباني – كتاب الأطعمة – باب الأكل متكئا حديث رقم ( ٢١٣٩ ) عن أبي جحيفة . الناشر: مكتَبة المَعارف للنَّشْر والتوزيع، الرياض – الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م .

(٥) الجامع الكبير – سنن الترمذي : باب ما جاء في كراهية الأكل متكئا – حديث رقم ( ١٨٣٠ ) عن أبي جحيفة – المحقق: بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت سنة النشر: ١٩٩٨ م .

وقوله أكلا ذريعا وحثيثا هما بمعنى أي مستعجلا – صلى الله عليه وسلم – لاستيفازه لشغل آخر فأسرع في الأكل وكان استعجاله ليقضي حاجته منه ويرد الجوعة ثم يذهب في ذلك الشغل(١)

ولهذا الحديث الشريف سبب لوروده جعل النبي – صلى الله عليه وسلم – يتحدث بكلام موجز في العبارة ، دال على معناه بأفضل طريق ، وكان سبب هذا الحديث قصة الأعرابي المذكور في حديث عبد الله بن يسر عند ابن ماجه والطبراني بإسناد حسن قال " أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فجثا على ركبتيه يأكل فقال له أعرابي: ما هذه الجلسة؟ فقال إن الله جعلني عبدا كريما ولم يجعلني جبارا عنيدا " (٢) .

قال ابن بطال: إنما فعل النبي – صلى الله عليه وسلم – ذلك تواضعا لله، وتذللا له .(٣) .

والبدء بالنفي المسلط على الحال فيه تغليظ شديد ، وتحذير قوي اللهجة لذلك الرجل الذي سأل النبي – صلى الله عليه وسلم – عن جلسته أثناء أكله ، ويؤيد تلك الشدة في التحذير والتغليظ ما ورد في رواية «إِنِي لَا آكُلُ مُتَّكِئًا» ، وما تحمله تلك الرواية من تأكيد وتقرير لمعنى النفي بمجيء الجملة اسمية مؤكدة ب " إن " مع تكرار المسند إليه مقدرا ، إي لا آكل أنا متكئا ، بمثابة تكرار الجملة ، وجاء التعبير

(١) ينظر : صحيح مسلم بشرح النووي المسمى بالمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – : أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي : ١٣ / ٢٢٧ ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

(٢) ينظر : فيض القدير : ٧ / ٢٣ .

(٣) ينظر : شرح صحيح البخاري لابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك :٩ / ٤٧٤ – تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم طبعة : دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض – الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م .

بحرف النفي " لا " المسلط على نفي الحال لإفادة تخصيص الفعل المضارع مع الحال للاستقبال ، ، وفي الامتداد الصوتي للحرف " لا " إشعار بامتداد معناها ، يقول السهيلي :" حرف " لا " لام بعدها ألف يمتد بها الصوت ما لم يقطعه تضييق النفس ، فإذاً امتداد لفظها بامتداد معناها "[1] ، والمعنى نفي الأكل على هذه الحالة في الحال وفي المستقبل .

والحديث الشريف ليس إخبارا عن عدم أكل النبي – صلى الله عليه وسلم – متكئا ، ولكنه يدل بطريق الاستلزام على معنى النهي ، فهو من الخبر الذي أريد به الإنشاء ، ويستلزم ذلك الإجابة على سؤال ، هل هذا النفي خاص بالنبي – صلى الله عليه وسلم – وتكون نفي تلك الحالة من خصائصه – صلى الله عليه وسلم – أم أن الأمر مندرج على أمته كلها ؟

ذهب بعضهم إلى أن ترك الأكل متكئا من خصائصه – صلى الله عليه وسلم – واستدلوا على ذلك برواية الترمذي «أما أَنا فَلَا آكل مُتكئا» لدلالة الأسلوب مباشرة على اختصاص الأمر بالنبي – صلى الله عليه وسلم – والظاهر في التعبير بضمير التكلم ( أنا ) .

ومنهم من ذهب إلى أن الأمر غير مختص بالنبي – صلى الله عليه وسلم – وإنما يندرج تحته كل مسلم ، على جهة كل ما أمر به النبي – صلى الله عليه وسلم – يندرج تحته أصحابه وأتباعه ، ما لم يوجد دليل على تخصيصه ، على أن النبي – صلى الله عليه وسلم –

(١) ينظر : نتائج الفكر : لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي : صـ ١٤١ ، تحقيق : عادل احمد عبد الموجود ، والشيخ / علي محمد عوض، ط : دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة : الأولى – ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م

مصدر أصيل من مصادر التشريع في الإسلام، واستدلوا بذلك على رواية الطَّبَرَانِيّ فِي (الْأَوْسَط) من حَدِيث أبي الدَّرْدَاء، قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: لَا تَأْكُل مُتكئا.(١)

والتعبير بالنفي موضع النهي مبالغة في شدة تأكيد النهي ، وأنه ما حدث ولم يحدث في المستقبل ، وما ينبغي أن يحدث ، لأن التعبير بالنفي يقطع بعدم وقوع الفعل في الماضي وفي المستقبل ، بخلاف النهي الدال على أن الفعل المنهي عنه قد يكون واقعا فعلا في الماضي ، والمطلوب النهي عن فعله في المستقبل ، ومن ثم كان النفي أبلغ دلالة على وقوع الفعل .

وللحديث روايات كثيرة كل منها لها دلالتها البلاغية، وسماتها الأسلوبية في أداء هذا المعني ، "فالْفرق بَين قَوْله: ( لَا آكل وَأَنا متكىء ) وَبَين قَوْله فِي الحَدِيث الْمَاضِي: لَا آكل مُتكئا أَن اسْم الْفَاعِل يدل على الْحَدث، وَالْجُمْلَة الاسمية تدل على الثُّبُوت. فَالثَّانِي أبلغ من الأول فِي الْإِثْبَات وَأما فِي النَّفْي فبالعكس فَالْأول أبلغ" (٢) .

والحديث بجميع رواياته كناية عن تواضع النبي – صلى الله عليه وسلم – وعدم تجبره وتكبره ، حيث إن الاتكاء أثناء الأكل كان من شيمة الجبابرة والمتكبرين .

كما أن النهي عن الاتكاء أثناء الأكل في الحديث الشريف لطائف عدة ، فقد " فسر الأكثرون الاتكاء بالميل على أحد الجانبين؛ لأنه يضر

(١) ينظر : المعجم الأوسط : أبو القاسم الطبراني باب من اسمه أحمد حديث رقم ( ٣٣ ) عن أبي الدرداء المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، الناشر: دار الحرمين – القاهرة .

(٢) ينظر : عمدة القارئ : ٢١ / ٤٤ .

بالآكل، فإنه يمنع مجرى الطعام الطبيعي عن هيئته ويعوقه عن سرعة نفوذه إلى المعدة ويضغط المعدة فلا يستحكم فتحها للغـــذاء، ... وأنهـــم فسروه بالتمكن للأكل، والقعود في الجلوس كالمتربع المعتمد على وطاء تحته ؛ لأن هذه الهيئة تستدعي كثرة الأكل، وتقتضي الكبر " [1].

(١) ينظر : مرقاة المفاتيح : ٧ / ٢٦٥٩ .

## بيان مدح القليل وذم الكثير من الطعام

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا [١] كَانَ يَأْكُلُ أَكْلًا كَثِيرًا، فَأَسْلَمَ، فَكَانَ يَأْكُلُ أَكْلًا قَلِيلًا، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

«إِنَّ المُؤْمِنَ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالكَافِرَ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ»[٢]

الأكل من أهم متطلبات الحياة لدى جميع الخلائق ، إذ به بقاء الشخصية الإنسانية على وجه الخصوص ، بيد أن قليله منفعة ، وكثيره مفسدة ، ومهلكة للمرء ، ولذلك رغب النبي – صلى الله عليه وسلم في القليل منه ، ورهب من الكثير دون فائدة .

وهذا الحديث الشريف جاء لغرض الحض على التقليل من الدنيا والقناعة باليسير منها .

والمعى : مَقْصُورَة وَجَمعهَا أمعاء ممدودة. قَالَ الْفراء: جَاءَ فِي الحَدِيث معى وَاحِدَة، وَوَاحِد أعجب إِلَيّ، وَأَكْثر كَلَام الْعَرَب تذكره ،[٣] قَالَ الْقطَامِي:[٤]

**كأنَّ نُسُوعَ رَحْلي حين ضَمَّتْ *** حوالب غُرَّزًا ومِعًى جياعا** [٥]

فقال: جياعا، وكان الوجه أن يقول: جائعاً؛ لأن المعى واحد.[٦]

---

(١) قيل هو ثمامة بن أثال رضي الله عنه وقيل غيره]

(٢) صحيح البخاري – كتاب الأطعمة – باب المؤمن يأكل في معي واحد حديث رقم ( ٥٣٩٧ ) عن أبي هريرة

(٣) ينظر : لسان العرب : مادة ( معي )

(٤) القطامي : عمرو بن حنظلة التميمي بصري. حضر يوم الربذة وهو يوم استؤصل فيه أهل الشام مع حبيش بن دلجة القيني [ معجم الشعراء – للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني – باب من اسمه عمرو، صـ ٢٣٠، بتصحيح وتعليق : الأستاذ الدكتور ف . كرنكو الناشر : مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة : الثانية، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م.

(٥) ينظر : ديوان القطامي صـ ٤١ ، تحقيق : د/ إبراهيم السامرائي – أحمد مطلوب – دار النشر : دار الثقافة – الأولى : ١٩٦١م .

(٦) ينظر : ما يجوز للشاعر في الضرورة : محمد بن جعفر القزاز القيرواني أبو عبد الله التميمي ، صـ ١٨١ ، حققه وقدم له وصنع فهارسه: الدكتور رمضان عبد التواب، الدكتور صلاح الدين الهادي، الناشر: دار العروبة، الكويت – بإشراف دار الفصحى بالقاهرة.

وَلِهَذَا الحَدِيث مَعْنيانِ: أَحدهمَا أَن الْمُؤمن يُسَمِّي الله عز وَجل إِذا أكل، فَيحصل لَهُ شَيْئَانِ: الْبركَة فِي الطَّعَام، وَدفع الشَّيْطَان عَنهُ، فَيكون المتناول مِنْهُ قَلِيلا، فَكَأَن الْمُؤمن قد أكل فِي معى وَاحِد، وَالْكَافِر لَا يُبَارك لَهُ لعدم التَّسْمِيَة، ويتناول الشَّيْطَان مَعَه فَيذْهب من الطَّعَام كثير، فَكَأَنَّهُ قد أكل فِي سَبْعَة أمعاء.

وَالثَّانِي: أَن الْمُؤمن لاستشعاره الْخَوْف، وَنَظره فِي حل الْمطعم، وحذره من حِسَاب الْكسْب، يقل أكله، وَالْكَافِر لَا يهتم بِشَيْء من ذَلِك فيكثر أكله، وَلِهَذَا الْمَعْنى ترى من قوي خَوفه وحزنه نحيلا، بِخِلَاف أهل الغفلات(١).

وكلا المعنيين يمكن حمل كلام النبي – صلى الله عليه وسلم – عليه ، ولا مشاحة في ذلك ، ومن ثم ناسب أن يأتي الكلام – لأهميته – في معرض الخبر المؤكد بتأكيدات متعددة ومتنوعة.

فقد جاء الخبر في ثوب الجملة الاسمية المصدرة بـــ " إن " الموضوعة للتأكيد ، تأكيدا وإقرارا لهذا المعنى الخبري ، ودخول إن على الجملة الاسمية بمثابة ذكر الكلام وتكراره مرتين قوة وتأكيدا لمفهوم الخبر .

وتقديم المسند إليه " المؤمن " على خبره الفعلي " يأكل " ولم يكن مسبوقا بأداة نفي لإفادة التقوية والتأكيد على هذا المعنى الخبري ، بذكر المسند إليه " المؤمن" مرتين : الأولى لفظا ، والثانية تقديرا كفاعل للفعل " يأكل " أي " هو والمعنى على ذلك أن هذا الخبر محقق الوقوع ، وأنه لاشك فيه ولا مراء .

(١) ينظر : مرقاة المفاتيح : ٧ / ٢٦٥٩ .

والمراد بالمؤمن – هنا – المؤمن التام الإيمان؛ لأنه من حسن إسلامه وكمل إيمانه تفكر فى خلق الله له وفيما يصير إليه من الموت وما بعده، فيمنعه الخوف والإشفاق من تلك الأهوال من استيفاء شهواته(١) .

وليس المراد بالكافر جنس الكفار ولا سبيل إلى حمله على العموم؛ لأن المشاهدة تدفعه ألا ترى أنه قد يوجد كافر أقل أكلا من مؤمن ويسلم الكافر فلا ينقص أكله؟(٢) ، وهذا من قبيل العموم والمراد به الخصوص لدلالة مناسبة الحديث عليه .

وليس مراد الحديث حصر الصورة على الأكل دون غيره ، وإنما المراد كل ما ينتفع به ظاهرا ، من مأكل ومشرب وملبس ، وكل ما هو مناف لمعنى التزهد في الحياة ، قال تعالى : {ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}(٣) ، ويؤيد ذلك رواية مالك في الموطأ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلى الله عَلَيه وَسَلم ضَافَهُ ضَيْفٌ كَافِرٌ، فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلى الله عَلَيه وَسَلم بِشَاةٍ فَحُلِبَتْ فَشَرِبَ حِلاَبَهَا، ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَ حلابها، ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَه حلابها، حَتَّى شَرِبَ حِلاَبَ سَبْعِ شِيَاهٍ، ثُمَّ إِنَّهُ أَصْبَحَ فَأَسْلَمَ، فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلى الله عَلَيه وَسَلم بِشَاةٍ فَحُلِبَتْ فَشَرِبَ حِلاَبَهَا، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِأُخْرَى فَلَمْ يَسْتَتِمَّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلى الله عَلَيه وَسَلم – : إِن الْمُؤْمِنُ يَشْرَبُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَشْرَبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ" (٤) .

---

(١) ينظر : شرح صحيح البخاري لابن بطال : ٩ / ٤٧٣ .

(٢) ينظر : طرح التثريب في شرح التقريب : ٦ / ١٧ ، وينظر : فتح المنعم شرح صحيح مسلم – موسى شاهين لاشين : ٨ / ٢٨٨ – الناشر: دار الشروق– الأولى ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م .

(٣) سورة : الحجر : آية : ١٥

(٤) موطأ الإمام مالك : مالك بن أنس المدني – رواية أبي مصعب الزهري – باب ما جاء في معى الكافر : ٣ / ١٠٦٣ ، المحقق: بشار عواد معروف – محمود خليل ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، ١٤١٢ هـ

وإن كنت أرى انه لا فرق بين الأكل والشرب في الاستخدام اللغوي ، لمجيء المطعم في معرض الشراب ، لاسيما وإن قام الشراب مقام الطعام في التزود به ، والاستغناء عن الأكل

به ، وذلك كما في قوله تعالى : {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلا قَلِيلا مِنْهُمْ} (١)، ومن لم يطعمه : أي لم يتذوقه ، وهو من قول الشاعر :

**وَإِنْ شِئْتَ لَمْ أَطْعَمْ نَقَاخًا وَلَا بَرْدَا**(٢)

قولهم: ماء نقاخ؛ أي صافٍ، وقيل: النقاخ: البارد ، وعلى ذلك فلا مشاحة بين الروايتين في ، وإن كانت رواية الأكل أبلغ في الكناية ، وأقوى في الدلالة على المراد إذ أن الإكثار في الأكل أكثر دلالة على النهم والشره والجشعة .

وقد ذهب بعض شرَّاح الحديث إلى أن اختصاص العدد في قوله : « وَالكَافِرَ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ» لكون الصفات المدعاة من الإكثار سبع الحرص، والشره، وبعد الأمل، والطمع، وسوء الطبع، والحسد، والسِّمن.

وقيل: شهوات الطعام على سبعة: شهوة الطبع، وشهوة النفس، وشهوة العين، وشهوة الفم، وشهوة الأذن، وشهوة الأنف، والضرورة سابعها وهو الجوع ، والمؤمن لا يأكل إلا للضرورة، ولا يأكل للشهوة، فهو سُبع ما يأكله الكافر، ومن لا يأكله للضرورة يأكل لهذه الأسباب

---

(١) سورة : البقرة : آية : ٢٤٩ .

(٢) هذا عجز بيت من الطويل وهو للعرجي في ديوانه صـ : ١٠٩ ، وتمامه:

**فإن شئت حرمت النساء سواكم ... وإن شئت لم أطعم نقاخًا ولا بردًا**

السبعة وأن يملأ من الطعام،[١] وقد قال – عليه السلام –: «مَا مَلَأَ ابْـنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، حَسْبُ الْمَرْءِ أَكَلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَـا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ»[٢] .

والذي عندي ، وأراه ملائما للمعنى العام للحديث ، هو أن العدد سبعة إنما جاء للتكثير والمبالغة في الوصف، لبيان شدة الحرص على تناول الطعام من جانب الكافر ، وذلك أسلوب عربي يأتي للمبالغة في الوصف لما للعدد سبعة ومشتقاته من مزية ، فالعرب يطلقون الأعداد : السبع والسبعين والسبعمائة ولا يريدون العدد في حصره وما يتطلبه من حصر معدوده وإنما يريدون المبالغة في الوصف ، وهو كثير منتشر في كلامهم فقد يأتي العدد في الكلام بمنطوقه ولا يدل مفهومه على عدد معين ، ولم يكن الغرض من ذكره الحصر أو قيد أفراد معدودة فيه ، وإنما يأتي لغرض آخر رمت إليه البلاغة العربية ، وهو كثير شائع في الأساليب العربية ، كأن تقول : نصحتك سبعين مرة ، ودعوت لك سبعين مرة ، وزرتك سبعمائة مرة ، فالأعداد –هنا – لم يقصد بها ما يفهم من منطوقها العددي، وإنما ذكرت لغرض المبالغة في كثرة القيام بالفعل وتكراره لحد المبالغة فيه. ومنه قول عنترة مفتخرا [٣] :

---

(١) إِكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِم شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِي عِيَاض بن موسى السبتي : ٦ / ٥٥٧ – المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل – الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر – الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل – حديث رقم (١٧١٨٦) من حديث الْمِقْدَامَ بْنَ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيَّ :٢٨ : ٤٢٢ المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون – إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي – الناشر: مؤسسة الرسالة – الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .

(٣) هو عنترة بن عمرو بن شداد العبسي ، وقيل شداد عمه ، وكان عنترة قد نشأ في حجره فنسب إليه دون أبيه ، شهد حروب "داحس وغبراء " فحسن فيها بلاؤه ، وحمدت مشاهده ، له ديوان شعر معروف [ينظر : الشعر والشعراء لابن قتيبة : ١ / ٢٥٠ – تحقيق أحمد محمد شاكر – طبعة : دار المعارف – الثانية ، ١٩٨٦م .]

**يا عبل لو أني لقيت كتيبة *** سبعين ألفا ما رهبت لقاها**

**وأنا المنية وابن كل منية *** وسواد جلدي ثوبها ورداها**

ومنه قول على بن أبي طالب ــ ﷺ ــ: (١)

**لَأَصْبَحَنَّ الْعَاصِ وَابْنَ العاصي *** سَبْعِينَ أَلْفاً عاقدي النواصي**

ومنه في البيان النبوي الشريف قوله ــ ﷺ ــ في بيان فضل صدقة المقل: « سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ » (٢) ، فالعدد في الأمثال السابقة لم يكن مقصودا في ذاته ولم يأت حصراً لأفراد معدودة فيه وإنما جاء لغرض بلاغي قصده المتكلم من كلامه؛ وهو المبالغة في التأكيد والتقرير، ولهذا فإن الإخبار بالعدد – هنا – لا ينافي غيره، بمعنى أن الحكم بعد العدد ثابت لا يتغير عما كان قبله ، وإنما الغرض من ذكر العدد المبالغة في وصف الشيء بالكثرة .

والقرآن الكريم نزل بلغة العرب وطريقة أساليبهم في الكلام ، ومن ثم كان لمثل هذا النوع من الكلام مظان متنوعة بأغراض مختلفة ، لم يأت العدد فيها لقصد حصر أفراد العدد في معدودة ، أو تقييده في معين وإنما جيء به لغرض بلاغي رمى إليه المتكلم من كلامه ، وذلك

---

(١) ينظر : شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد : ٧٧٩/١ ، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري ، ط،دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ــ ، الأولى ، ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٨م ، وصبحه: سقاء الصبوح وقت الصباح. ويروى «لأصحبن» من الصحبة ولعله تحريف. شبه إنالة المكروه بإنالة المحبوب على سبيل التهكم، فهو استعارة تصريحية تهكمية. ويجوز أنه شبه الفرسان لإتيانهم صباحا بالصبوح على سبيل المكنية التهكمية ، ولأصبحن: تخييل. وسبعين ألفاً: مفعول ثاني . والمراد به الكثرة ، والعاقدين: جمع عاقد ، والمراد : نواصي خيلهم أو أطراف عمائمهم من خلفهم أو شعور رؤوسهم . وعقد الناصية من أمارات الشجاعة والإشاحة في القتال

(٢) سنن النسائي :: المسمى بـــ ( المجتبى من السنن ) للإمام النسائي باب : جهد المقل من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – ٥ / ٢٥٩ ، تحقيق / عبد الفتاح أبوغدة ، ط / مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب ، الثانية ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م

مثل قوله تعالى في طائفة من المنافقين : ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُم ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (١) ، والمعنى:إن هؤلاء المنافقين الذي يلمزون المطوعين بالصدقات– على النحو المذكور في الآيات السابقة– قد تقرر مصيرهم، فما عاد يتبدل " فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ " لن يجديهم استغفار، فهو والعدم سواء، فلا رجاء لهم في مغفرة، ولا سبيل لهم إلى توبة، فالقلب البشري حين يصل إلى حد معين من الفساد لا يصلح ، والضلال حين ينتهي إلى أمر معين ، لا يرجي بعده اهتداء .(٢) والله أعلم بأحوال عباده.

وعلى هذا المعنى : فإن التعبير بالعدد في قوله تعالى ﴿ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ ، لم يكن قيدا للفعل أو مخصصاً لأفراد معدوده، وإنما عبر به لغرض بلاغي رمي إليه وهو التأكيد على إثبات ضلال هذه الطائفة من المنافقين وسوء عاقبتهم، وإغلاق باب الرحمة عليهم جزاء ما فعلوه بالنبي ــ ﷺ ــ وصحابته الكرام ، فليس المقصود بالعدد– هنا– حصره في أفراده، وإنما المبالغة في الوصول بالاستغفار إلى حد لم يصل إليه أحد، فحالهم بالاستغفار وعدمه سواء، فالأمر بالاستغفار أو النهي عنه لتلك الطائفة من باب التيئيس من وقوع المغفرة لا للتخيير. قال القرطبي: قالت طائفة في تأويل ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ هو من باب اليأس لا التخيير بدليل قوله تعالى :﴿ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾،وذكر السبعين وفاق جرى،

(١) سورة التوبة: آية : ٨٠.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن– للشيخ / سيد قطب ٣ /١٦٨١– ١٦٨٢، يتصرف، ط دار الشروق، السادسة عشرة ١٤١٠ه، ١٩٩٠م.

أو هو عاداتهم- أي العرب- في العبارة عن الكثرة. [1] ، وعلى هذا يكون المعنى: إن استغفرت لهم فلن ينفعهم ذلك الاستغفار ولو بالغت في الإكثار منه، فالفعل والترك سواء في عدم الإفادة، وجلب المنفعة.

ومما هو داخل في هذا الباب قوله تعالى في بيان سعة علم الله – تعالى- المطلق وحكمته البالغة : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [2] والمعنى: لو ثبت كون ما في الأرض من شجر أقلاماً، والبحر ممدود بأبحر عظيمة وعديدة، وكتبت بتلك الأقلام، وبذلك المداد كلمات الله تعالى، ما نفذت كلمات الله لعدم تناهيها، وتنفد الأقلام والبحار التي بمثابة المداد لتناهيها.

والمراد بكلمات الله في الآية،: علم الله المطلق الذي لا يحد بحد، وحكمته البالغة التي لا يقف على حقيقتها واصف، وهذا المعنى هو ما يقتضيه سبب نزول هذه الآية، قال المفسرون: سألت اليهود رسول الله –ﷺ– –عن الروح– فأنزل الله بمكة ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[3]فلما هاجر رسول الله ــ ﷺ ــ إلى المدينة أتاه أحبار اليهود، فقالوا: يا محمد بلغنا عنك أنك تقول: " وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً "،أفتعنينا أم قومك" فقال ــ ﷺ ــ "كلا قد عنيت"، فقالوا: ألست تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء، فقال ــ ﷺ ــ هي في علم الله سبحانه قليل، ولقد أتاكم الله تعالى ما إن عملتهم به انتفعتم به، فقالوا: يا محمد، كيف تزعم هذا؟

(١) ينظر : تفسير القرطبي المسمى بالجامع لأحكام القرآن : ٤/ ٣١٤٥، ط دار الغد العربي، الثانية.

(٢)سورة : لقمان : آية : ٢٧

(٣)سورة : الإسراء: آية : ٨٥

وأنت تقول : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (١) فكيف يجتمع، هذا علم قليل، وخير كثير فأنزل الله تعالى الآية . (٢)

وعلى هذا المعنى المفهوم من سبب النزول يتضح بأن المراد بالعدد﴿ سَبْعَةُ﴾في قوله تعالى﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾ المبالغة في إثبات الكثرة غير المتناهية للبحور، واتساعها وجعلها – مع كثرتها– مداد لتلك الأقلام لكتابة علم الله وحكمته، فتنتهي تلك البحور الكثيرة والعظيمة ومثلها ولا ينتهي كلام الله وحكمته، وليس المقصود منه حصر البحار في المفهوم العددي، الدال على اختصاص الأبحر بهذا العدد، وحصر أفراده فيه، وذلك لأن الحكم فيما بعد العدد غير متغير فيما قبله ولا أمثال أمثاله، وهو أن كلمات الله تعالى لم تنفذ ،ولن تنفذ لكون علم الله وحكمته غير متناه.

ومما هو داخل في هذا الباب قوله تعالى في بيان حال أصحاب الشمال: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ*﴾ (٣) فهذه الصورة البائسة توضح حال أصحاب الشمال يوم القيامة، واقفين في حسرة مديدة، ونغمة يائسة،

(١) سورة : البقرة : آية : ٢٦٩

(٢) ينظر: أسباب النزول لأبي الحسن النيسابوري :٣٥٨، تحقيق : كمال بسيوني زغلول، ط: دار الكتب العلمية ، بيروت ، الأولى ١٤١١هـ .

(٣) سورة الحاقة: آية : ٢٥ – ٣٧

ولهجة بائسة، لما يراه أو يلقاه جزاء ما اقترف من آثام، وما اجترح من سيئات عظام، فنال من الله ما يستحق بألفاظ موجعة، تبعث بالهول الهائل، والرعب القاتل، أمام الجلال الماثل في ذات الله تعالى، الآمر بالعقاب الشديد، والعذاب المقيم(١)

والتعبير بالعدد في بيان جزاء هذه الطائفة في قوله: ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾،يمكن أن يراد به ظاهر العدد المعروف، ويكون مقيداً لأفراد معدودة، ومبيناً على سبيل التحديد مقدار هذه السلسلة من الطول ، ويمكن أن يراد مفهوم العدد المبالغة في وصف السلسلة بالطول ، جاء في تفسير الفخر الرازي: وقيل إنه ليس الغرض في التقدير بهذا المقدار، بل الوصف بالطول كما قال "إن تستغفر لهم سبعين مرة" يريد مرات كثيرة(٢) ، وهذا ما يلائم المعنى، ويقتضيه المقام، لأنها لما لم تقيد بمقياس معين و بالغ في وصفها بالطول ، وبدت للمخاطب كالمحس المشاهد والتأمت عنده صورتها المفزعة ، ومن ثم كان التخويف فيها أفظع، والإنذار منها أوقع ، والتهويل بها أشد ، وهذا يتناسب مع هول الموقف، وعظمة المقام، وشدة وقع الألفاظ التي عبر بها عن هذه المعاني بأفعال أمر أخاذة في قوله تعالى:﴿ خُذُوهُ ٠٠فَغُلُّوهُ ٠٠ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ٠٠ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ .

فالعدد " سبعة " في اللغة العربية يمتاز بكثرة أساليبه وتعدد صوره ما بين مقصود في ذاته حاصر لأفراده ، وبين خروجه عن هذا الحد ،

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور : ٢٩ / ١٣٨

(٢) مفاتيح الغيب التفسير الكبير – أبو عبد الله محمد بن الحسن فخر الدين الرازي خطيب الري : ١٥ / ١١٠ – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

والوصول به إلى أغراض بلاغية أخرى رمى إليها من الكلام وحسب مقتضيات المقام .

قال الألوسي[١]:والمراد بالسبعة: الكثرة بحيث تشمل المائة والألف مثلاً لا خصوص العدد المعروف، كما في قوله ﷺ:{الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ}، قال ابن حجر: "ليس المراد به ظاهره، وإنما مثل ضرب للمؤمن وزهده في الدنيا، والكافر وحرصه عليها، فكان المؤمن لتقلله من الدنيا يأكل في معي واحد، والكافر لشدة رغبته فيها واستكثاره منها يأكل في سبعة أمعاء، فليس المراد حقيقة الأمعاء ولا خصوص الأكل، وإنما المراد التقلل من الدنيا، الاستكثار منها، فكأنه عبر عن تناول الدنيا بالأكل، ومن أسباب ذلك بالأمعاء. ، وقيل: إن الحديث خرج مخرج الغالب، وليس حقيقة العدد مراده، قالوا: تخصيص السبعة للمبالغة في التكثير، والمعنى أن من شأن المؤمن التقلل من الأكل لاشتغاله بأسباب العبادة، ولعلمه بأن مقصود الشرع من الأكل ما يسد الجوع، ويمسك الرمق، ويعين على العبادة، ولخشيته –أيضا– من حساب ما زاد على ذلك، والكافر بخلاف ذلك كله، بل هو تابع لشهوة نفسه مسترسل فيها غير خائف من تبعات الحرام" [٢] .

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني– شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي : ١٠ / ١٤٨ المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني :١٠ / ٦٧٥ ط : دار الفكر ، الأولى : ١٤١٨ – ١٩٩٧

ووجه العلاقة ظاهر وكأنه من قبيل الكناية، التي هي لفظ أطلق، وأريد منه لازم معناه، لا معناه الحقيقي[١] ، مع جواز إرادة المعنى الحقيقي – كما هو حاصل في المناسبة أو الحال التي اقتضت من النبي – صلى الله عليه وسلم – قول هذا الحديث الشريف .

ولا يخفى ما صنعته تلك المقابلة البديعة في النص النبوي الشريف من إبداع، وما كان لها من أثر بالغ في توضيح المعنى وإظهاره ، مع تقويته وتأكيده في النفس ، في قوله :

**المُؤْمِنَ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ**

**وَالكَافِرَ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ**

ومثل هذا الأسلوب البديعي يشوق النفس، وينشط الفكر للوقوف على المراد من هاتين الصورتين المتشابهتين، وذلك أدعى إلى تثبيته، وتأكيده فى الذهن بعد معرفته[٢] ، ففرق شاسع وبون واسع بين مؤمن جعل الآخرة أكبر همه ومبلغ علمه ، فلم يأخذ من الدنيا إلا اليسير ، ولم يتناول منها إلا القليل ، وبين كافر جعل الدنيا أكبر همه ، ومبلغ علمه ، فحرص عليها ، وأكثر منها في شره وجشع ، والإكثار مما فيه ضرره في الدنيا والآخرة.

والنبي– صلى الله عليه وسلم – بذلك رسم الصورة المقابلة بين الفريقين جامعا فيها بين الخصائص التصويرية المتمثلة في الكنايتين المتضادتين ، وما يحملها من عناصر تركيبية متفاعلة مع سياق القناعة والرضا في جانب المؤمن ، وسياق اللهفة والشره واظهار الجشع

(١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم – الدكتور موسى شاهين لاشين : ٨ /٢٨٨ ، الناشر: دار الشروق – الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م .

(٢) دراسات منهجية فى علم البديع:د / الشحات عبد الرحمن أبوستيت صـ ٢٢٠ .

والطمع في جانب الكافر حتى أصبح الفعل من الطرفين ثابت محقق الوقوع، حتى يصل بتلك المطابقة إلى شحذ الهمم ، وأخذ الحيطة ، وتلك من دلائل الإبداع التصويري ، والقدرة الفنية ، والبلاغة العالية التي اتصف بها البيان النبوي الشريف .

وأيا كان المعنى المراد من الحديث – حقيقة أو تمثيلا – فإنه " يصور بشاعة أكل الكافر وشربه، ويمتدح اقتصاد المؤمن في أكله وشربه، ويوضح أن قلة الأكل من محاسن الأخلاق، وكثرة الأكل بضده، والمؤمن يعلم على اليقين بأنه ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه، ويلتزم بالتوجيه النبوي الشريف، فيجعل ثلثا لطعامه، وثلثا لشرابه، وثلثا لنفسه " . (١)

(١) ينظر : أثر التشبيه في تصوير المعنى " قراءة في صحيح مسلم " د/عبد الباري طه سعد – صـ ٢٢٧،٢٢٨ بدون طبعة ، الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

## بركة الاجتماع على الطعام

عن وَحْشِيٍّ بْنُ حَرْبٍ،(١) أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ، قَالَ: «فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ»(٢)

التفرق على الطعام من أسباب نزع البركة لأن التفرق يستلزم أن كل واحد يجعل له إناء خاص فيتفرق الطعام وتنزع بركته وذلك لأنك لو جعلت لكل إنسان طعاما في صحن واحد أو في إناء واحد لتفرق الطعام لكن إذا جعلته كله في إناء واحد اجتمعوا عليه وصار في القليل بركة وهذا يدل على أنه ينبغي للجماعة أن يكون طعامهم في إناء واحد ولو كانوا عشرة أو خمسة يكون طعامهم في صحن واحد بحسبهم فإن ذلك من أسباب نزول البركة والتفرق من أسباب نزع البركة(٣) ، وفي هذا إشارة إلى أن البركة تتضاعف مع الكثرة والاجتماع على الطعام.

وفي قول الصحابة الكرام :" إِنَّا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ " تأكيد وإقرار على هذا المعنى بطرق متعددة تنبيها على أهميته لدى المتكلم ، ولك أن تعلم أن التأكيد هنا غير راجع إلى حال المخاطب – كما هو الحال في

---

(١) وحشي بن حرب الحبشي من سودان مكة، مولى جبير بن مطعم، وهو الذي قتل حمزة بن عبد المطلب يوم أحد، وكان وحشي يومئذ كافرا، فأسلم بعد الطائف وشهد اليمامة، وزعم أنه قتل مسيلمة الكذاب فقال: قتلت خير الناس وشر الناس، تجزيني هذه عن هذه .

(٢) سنن أبي داود – باب الاجتماع على الطعام حديث رقم ( ٣٧٦٤ ) عن وحشي بن حرب : ٥ : ٥٨٨ – المحقق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي– الناشر: دار الرسالة العالمية – الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م .

(٣) ينظر : شرح رياض الصالحين : ٤ /٢١٩

أضرب الخبر – ، وإنما لأمر يعود إلى المتكلم نفسه ، للدلالة على امتلاء نفسه وجوارحه وانشغاله بتلك الحالة التي عليها المتكلم ، وهي عدم تحقق الشبع مع وجود أسبابه خشية الوقوع فيما ذم من ذي قبل في حديث ( المُؤْمِنَ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِد وَالكَافِرَ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ ) ، ورهبة من الوقوع ، ورغبة في تصحيح الحال ، لاسيما مع انتفاء العلة مع وجود المعلول ، والمقصود بالصحابة " جماعة منهم لا كلهم إذ يبعد اجتماعهم جميعاً على الطعام ". (١)

ويلمح من كلام الصحابة :" إِنَّا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ " معنى التعجب من كلامهم لاسيما في نفي الشبع عنهم مع تحقق أسباب زواله وهو الأكل الكثير ، وهم يطلبون القناعة ، والتقوي على الطاعة ، والتعجب – هنا – المفهوم من المعنى – ينبئ عن حيرة الصحابة ، وترددهم في الأمر ، وخوفهم من الوقوع في حال الأكل المذموم – كما سبق – ، والتعجب عندما يأتي في صورة الخبر المنفي يجعل المتعجب منه مسلم به معلوم لدى الجميع ، ولا شك أن هذا يكسب المتعجب منه قوة ، وتأكيدا في التعبير، وهو مراد ومقصود لذاته في كلام الصحابة الكرام ، ومن ثم كان التأكيد في قول الصحابة :" إِنَّا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ " مطلوبا مع حال المتعجب ليكسب المعنى تقريرا وتثبيتا في نفس المتعجِبِ ( المتكلم ) ذاته ، ومن ثم يأخذ ما يلقى عليه من كلام يخرج من فيِّ النبي – صلى الله عليه وسلم – مأخذ الجد ، والحرص على إتمامه ، والاهتمام به لأنه سيأتي في صورة النصح والإرشاد ، وهو

(١) التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير – محمد بن إسماعيل بن صلاح الكحلاني ثم الصنعاني : ٧ /٥٢٩ تحقيق : محَمَّد صُبْحي بن حَسَن – الناشر: مَكتَبَةُ الرُّشد، الرياض – الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م

من المقامات الدعوية التي تتطلب الإصغاء والإنصات والتشـــمير عـــن ساعد الجد .

وفي حذف الصفة في قوله :" إِنَّا نَأْكُلُ " أي كثيرا ، والصفة من توابع الكلام ومكملاته ، وهي ضرورية في بيان المعنى، وحذفها هنا لها دلالة بلاغية خاصة، وهي أن الصحابة الكرام كرهوا أن ينسبوا لأنفسهم ما يذم عادة ، خاصة وأن النبي – صلى الله عليه وسلم – يعلم ما قصدوا إليه من طريقة كلامهم والتي بنيت على التعجب من الأمر، الذي نطق منطوقه بمحذوفه، ودل عليه السياق ، وزاد المعنى واكتمل حسنا فوق حسن ، قال ابن الأثير :" تأملت حذفها – أي الصفة – فوجدته لا يسوغ إلا في صفة تقدمها ما يدل عليها ، أو تأخر عنها ، أو فهم من السياق " .(١)

وقد بنى النبي – صلى الله عليه وسلم فكرة الحديث الشريف على سؤال الصحابة – رضوان الله عنهم أجمعين – وشكواهم له – صلى الله عليه وسلم – كثرة تناول الطعام مع قلة الشبع ، ولا شك أن سؤال الصحابة للنبي – صلى الله عليه وسلم – في أمر من أمور الدنيا ، أو من العادات اليومية التي يقوم بها الإنسان عن طريق الفطرة والجبلة ، يجعلهم حريصين على التعلم من النبي – صلى الله عليه وسلم – ما فيه صلاحهم في جميع أمورهم ، وهذا إن كان في أمور الدنيا وأعمال العادات ، فإن حرصهم على إعمال العبادات والمعاملات أشد .

(١) ينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير : ٩٧/٢ تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد – ط المكتبة العصرية – ١٤١١ هـ / ١٩٩٠م .

ولا شك في أن تحديد المعاني من سمات المفكر المطمئن الذي يجيل النظر طويلا في الأشياء والخواطر ، ليقرن النظير إلى النظير ، وليجمع بين الأمور المتقاربة في أحكام تتشابه على قدر ما بينها من اتفاق ، وصاحب هذا التجديد الدقيق فوق إدراكه القوي ، ونظره المحيط ذو خبرة حاذقة بدخائل النفوس، فهو في تحديده الضابط يختصر مسافات بعيدة من الفحص اليقظ، والتتبع الدائب ليقدم خلاصتها الموجزة في عدة نقاط متقاربة (١) .

والنبي – صلى الله عليه وسلم – كان يتخير الأوقات والأحوال لعرض المعاني لما يراه مناسبا لها ، وكان يتخولهم بالموعظة حينما يتطلب الموقف ذلك ،فيدخل المعنى في النفس دخول المأنوس فيعمل على تأكيده وإقراره ،ومن ثم يعمد المخاطب إلى الأخذ به ، والتلبس بمعناه، والسير على طريقه المستقيم ، فقد استخدم النبي – صلى الله عليه وسلم – الحال لعرض الفكرة على المخاطبين لما لها من دلالة عميقة في إيضاح المعنى وترسيخه في النفس ، ووسيلة هامة للتقرير والتأكيد والإيضاح ، مبالغة في حرصه – صلى الله عليه وسلم – على تعليم الأمة بشغل الحاسة مع العقل في لباقة تحول التلميذ بكل ما فيه إلى المعلم الحريص على سيطرته في درسه (٢) .

وقد بدأ النبي – صلى الله عليه وسلم – حديثه بجذب المخاطبين إليه بفتح الحوار الهادف القائم على الاستفهام «فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ؟» قَالُوا: نَعَمْ، " والحوار من بين الفنون التي توسل بها النبي – صلى الله عليه وسلم – ليصل بها إلى الآخرين ، فسمة السّؤال، والحوار شائعة في

(١) ينظر: البيان النبوي : د/ محمد رجب البيومي ٢٢٢،٢٢٣ ط دار الوفاء ، الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م
(٢) ينظر : الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية : صـ ٧٧ .

الحديث النّبويّ الشّريف، وهي مرتبطة ارتباطًا منطقيًّا بسمات الحياة المشهودة، والجُمل الممتدّة المتداخلة؛ لأنّ السّؤال يكون من أفراد يشهدون الموقف، والحوار ينتج عن هذه التّساؤلات، والإجابات عنها ، وسمة السّؤال والحوار – كذلك – سمة بَدَهيَّة في الحديث الشّريف؛ لأنّه حديث نبيّ إلى قومه يُعلّمهم، ويُجيب عن أسئلتهم، ويُصحّح أخطاءهم، ويُلبّي دعواتهم ، لذلك فإنّ معظم أحاديث النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لا تخلو من هذه السّمة، وأحيانًا يكون الجواب ردًّا على سؤال غير مباشَر، كأنّما يريد النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام أن يعفيهم من حرج السّؤال، وأكثر الأحاديث الّتي تكون كذلك تبدأ بمثل قوله صلّى الله عليه وسلّم: (ما بالُ أقوامٍ..) أو ما يشبه معناها.

وقد اشتملت السنة النبوية على العديد من المواقف الحوارية الناجحة بين النبي – صلى الله عليه وسلم – وأزواجه وأصحابه وأتباعه وغيرهم خلال مسيرة حياته الشريفة، وبقيت منهجاً واضحاً وزاخراً بكل نافع ومفيد للمسلمين وغيرهم حتى قيام الساعة .

ففي حياة النبي – صلى الله عليه وسلم – وسيرته ينابيع تغذي الفكر ، وتُقوِّم السلوك ، وتكسب الفرد قوة ومناعة وقدرات ذهنية تُيسِّر له إقناع غيره وتبليغه ما توصل إليه علم أو عمل فكثيرا ما تبين هذه الينابيع المنهج التربوي ، والطرق الدقيقة التي اتبعها – صلى الله عليه وسلم – وهو يتعامل مع الأحداث التي تَجِدُّ في المجتمع الإسلامي ، فيتحرك معها الخصوم قبل الأتباع نظراً لما يمتاز بع الحوار النبوي من خصائص لم توجد في غيره[1] .

(١) ينظر : مناهج الجدل في القرآن الكريم – د/ زاهر عواض اللمعي : صـ ٣ بتصرف ظاهر ، طبعة : مطابع الفرزدق التجارية – الثانية ١٤٠٠هـ . .

والحق أن الحوار النبوي يمتاز بكونه أسلوبا راقيا من بين أساليب الدعوة والإرشاد لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – من خلال محاوراته مع الصحابة يكشف ما بداخلهم من أفكار ومعلومات ، ويبني علي ذلك ما يلقيه عليهم من نصح وإرشاد ، كما انه – صلى الله عليه وسلم – من خلال الحوار مع الصحابة إلى حل كثير مما يطرأ عليهم من إشكاليات تقف بين الصحابة وفهم بعض المسائل والقضايا الدينية عقدية فكرية ، أم عبادات بدنية أو مالية، وأعمال تعبدية ، وكان يحثهم من خلال الحوار على إعمال الذهن ، وكد الفكر للوصول إلى الصواب والحق ، ولأجل تلك الأسباب اتخذ النبي – صلى الله عليه وسلم – سبلا متعددة ومتنوعة من الحوار نظرا لما له من سمات ايجابية في باب النصح والإرشاد ، والدعوة إلى رب العباد ويكون نهاية الحوار الوصول إلى معرفة الحق ، والعمل بمقتضاه .

فبفضل الحوار النبي المُمَيَّزِ اسْتَيْقِظَت نفوس لوَّامة ، واكتسب أصحابها شحنات من الإيمان والعزم والتصميم استطاعوا بفضلها مقاومة القِوي الشيطانية ، وتهذيب الشهوات البشرية ، وبسط سلطان العقل والإيمان على أقوال المؤمنين وأفعالهم[١] .

والسؤال الذي بني عليه النبي – صلى الله عليه وسلم – حواره مع الصحابة من قبيل الاستفهام المجازي ، والمراد منه الإيماء إلى خطأ ما يفعلونه ، وتسجيل عليهم سوء فعلهم في تفرقهم على الطعام الممحق للبركة ، وإشارة إلى علة ما يشتكون منه ، " وهو عدم الشبع "[٢]، وقوله – صلى الله

(١) ينظر : السابق نفسه بتصرف .

(٢) ينظر : دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين : ٥ / ٢٩٩ .

عليه وسلم – : ( فلعلكم تفترقون ) أي حال الأكل بأن كل واحد من أهل البيت يأكل وحده، وفي رواية: " فلعلكم تأكلون متفرقين "[١].

والحق أن مجيء لعل بمعنى الاستفهام اختلف فيه أهل العلم : فمنهم من ذهب إلى أنها تأتي للاستفهام، وهو معنى، قال به بعض الكوفيين. وتبعهم ابن مالك،[٢] وجعل منه " وما يدريك لعله يزكى "[٣] ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم، لبعض الأنصار، وقد خرج إليه مستعجلاً: لعلنا أعجلناك ؟ [٤] ، وهذا عند البصريين خطأ ، والآية عندهم ترج، والحديث إشفاق [٥].

والذي عندي أنها – هنا– للاستفهام لوقوع ذلك في كلام العرب، جاء في شرح الرضي على الكافية:" وقيل إن لعل تجيء للاستفهام تقول: لعل زيدا قائم أي هل هو كذلك" [٦].

والكلام يدل على شك السائل في النسبة التصديقية للخبر ، فيأتي الجواب لإزالة هذا الشك ، ولذلك كان قولهم : ( نعم ) إقرار من المتكلم ، وتقرير في ذهن المخاطب ، مع إمكان حملها على الترجي أو الإشفاق ، " لقرب المسافة بين الرجاء والشك، ونظيرُه قولُ ابن عمر:

---

(١) سنن ابن ماجه – باب الاجتماع على الطعام – حديث رقم ( ٣٢٨٦ ) عن وحشي بن حرب .

(٢) وقد ذهب ابن مالك – أيضا – إلى أنها للتحقيق قال ابن مالك في "توضيحه" وقال الكرماني: لعل قد جاء لإفادة التحقيق فمعناه: قد أعجلناك ، ولكن لو كانت للتحقيق ما احتيج الكلام إلى جواب في قولهم " نعم " فبطل ذلك

(٣) سورة :عبس – آية : ٣ .

(٤) سنن ابن ماجه – باب الماء من الماء حديث رقم ( ٦٠٦ ) عن أبي سعيد الخدري .

(٥) ينظر : الجني الداني في حروف المعاني : صـ ٥٨٠ .

(٦) ينظر شرح الرضي على الكافية : ٢ / ٣٨٤ ، وينظر : معاني النحو د. فاضل صالح السامرائي : ١ / ٣٠٦ – الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن – : الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

"لعلك من الذين يصلون على أوراكهم" [١] ، وقيل: استعمل للتحقيق. قلت: ولو كان للتحقيق لم يحتج إلى الجواب بقوله: نعم " [٢].

وقول الصحابة الكرام – رضي الله عنهم أجمعين –: ( نعم ) جاء جوابا لسؤال مستفهم عن حالة ، وأجيب به عن نسبة تصديق الخبر، وتعني أنهم مقرون بما يستفهم عنه النبي – صلى الله عليه وسلم – ، والاستفهام هنا إنكار لحالة ما ينبغي أن يكون عليها ثلة من الصحابة الكرام ، فهو إنكار توبيخي على أمر واقع في الحال أو المضي ، بمعنى لا ينبغي أن يكون ذلك منكم، وأنا بين ظهرانيكم .

وجاءت جملة النصح والإرشاد في صورة الأمر المباشر في قوله –:« فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ» والأمر فيه للندب والاستحباب ، بدليل قوله تعالى : {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا}[٣] ، وقيل هو للوجوب ، وأن الأمر في الآية فمحمول على الرخصة أو دفعا للحرج على الشخص إذا كان وحده[٤].

واختصاص هاتين الجملتين من جمل آداب الطعام لكونها مجلبة للبركة ، وسببا في زيادته ، وجملة –:« يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ » بالجزم جواب الطلب وهو مبني للمفعول ، أي يوضع لكم فيه البركة بحيث

(١) صحيح البخاري – كتاب الطهارة – باب : من تبرز على لبنتين – حديث رقم ( ١٤٥ ) عن عبد الله بن عمر .

(٢) ينظر : الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري – أحمد بن إسماعيل الكوراني : ١ / ٣٣٣ – تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية – ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان – الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .

(٣) سورة : النور – بعض آية : ٦١ .

(٤) ينظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : ٧ / ٢٧٣٩ .

تشبعون إذا اجتمعتم وذكرتم اسم الله بالتسمية والحمد ، وهي جملة علة لوجود الأمرين ، والترتيب هنا رتبي زماني على حسب وقوع الفعل ، والمعنى اجتمعوا ابتداءً في أول الطعام ، ثم اذكروا اسم الله تعالى قبل البدء في الطعام .

والسؤال :" وهل البركة تكون بالاجتماع ؟ أو بالتسمية ؟ أو بهما معا ؟ ، ظاهر جواب الشكوى أنَّها تحصل بالاجتماع ثمَّ أرشدهم إلى زيادة التسمية لزيادة البركة" ، وقد ورد تعليل الأمر بالتسمية بأنه يدفع مشاركة الشيطان ولا شكَّ أنَّه بمشاركته لهم ترتفع البركة "[1] .

وعلى كل فإن الحديث الشريف في مجمله يحمل كنايتين متقابلتين، تناقض إحداهما الأخرى، وهذا التناقض الواضح يجعل المؤمن – ولاشك – ينفر من الاتصاف بصفة الكافر ، فيحرص على النهج السوي الذي يرضاه الله للمؤمنين في الحياة ، والذي يُنَزِلُ كلا من الدنيا والآخرة منزلتها الصحيحة ، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم في غير موضع منه، ومن ذلك قَوْلِهِ تَعَالَى: { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}"[2] .

---

(١) ينظر: التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ – محمد بن إسماعيل ، الكحلاني ثم الصنعاني : ١ / ٣٦١ تحقيق : د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم – طبعة : مكتبة دار السلام، الرياض : الأولى، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م .

والسؤال : هل هو أمر لكل فرد أو للجماعة وأنَّه إذا سمَّى البعض أجزأ عن الجميع ، حقق ابن القيم تلك المسألة في كتابه زاد المعاد في هدي خير العباد : ٢ / ٣٩٨ طبعة : مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت – الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م فليراجع ذلك في مقامه .

(٢) سورة : آل عمران : آية : ١٤

وقوله تعالى: { الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلا } [١] .

فبلاغة هذا الحديث الشريف تكمن فيما تضمنه من عوامل التأثير ، وما في صياغته من إيجاز وتركيز ، تعجز أساليب الإطناب عن الإحاطة بما تريده الألفاظ من معان ، وتلك آية من فصاحة النبي – صلى الله عليه وسلم – وبلاغته .

*****

(١) سورة : الكهف : آية : ٤٦ .

## صورة أخرى من بركة الاجتماع على الطعام

ومما يقوي الحديث السابق ويعضد معناه ما روي ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : «إِنَّ طَعَامَ الْوَاحِدِ، يَكْفِي الِاثْنَيْنِ، وَإِنَّ طَعَامَ الِاثْنَيْنِ، يَكْفِي الثَّلَاثَةَ وَالْأَرْبَعَةَ، وَإِنَّ طَعَامَ الْأَرْبَعَةِ، يَكْفِي الْخَمْسَةَ وَالسِّتَّةَ»(١) .

والمعنى أن الكفاية تنشأ عن بركة الاجتماع، وأن الجمع كلما زاد زادت البركة ، فيستحب الاجتماع على الطعام وألا يأكل المرء وحده، وفيه أيضاً الإشارة إلى أن المواساة إذا حصلت حصل معها البركة فتعم الحاضرين، وأنه ينبغي للمرء ألا يستحقر ما عنده فيمتنع من تقديمه فإن القليل قد يحصل به الاكتفاء بمعنى سدّ الرمق وإقامة البنية لا حقيقة الشبع .

ووجه النووي معنى الكلام بأن التقدير فليذهب بمن يتم من عنده ثلاثة أو فليذهب بتمام ثلاثة ، قوله : ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس بسادس أو كما قال ، أي فليذهب بخامس إن لم يكن عنده ما يقتضي أكثر من ذلك وإلا فليذهب بسادس مع الخامس إن كان عنده أكثر من ذلك (٢).

---

(١) سنن ابن ماجه – كتاب الأطعمة – باب طعام الواحد يكفي الاثنين – حديث رقم ( ٣٢٢٥ ) عن عمر بن الخطاب ، ورواية البخاري ومسلم عن أبي هريرة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طَعَامُ الِاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي الأَرْبَعَةِ» [ ينظر : صحيح البخاري – كتاب الأطعمة – باب طعام الواحد يكفي الاثنين حديث رقم ( ٥٣٩٢ ) ، وفي صحيح مسلم – كتاب الأشربة – باب فضل المواساة في الطعام القليل حديث رقم (٢٠٥٨ ) عن أبي هريرة .

(٢) ينظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري : ٦ / ٥٩٥ .

وقد جاء هذا المعنى الدعوي لصورة من صور العادة الفطرية المتكررة في صورة الخبر المؤكد بعدة توكيدات مختلفة ومتنوعة تقريرا للمعنى وتحقيقه في نفس المخاطبين ، فنراه – صلى الله عليه وسلم قد أتي بهذا المعنى الخبري في صورة الجملة الاسمية التي صدرت بحرف هو أم الباب في التوكيد والتقرير ، فكأنه كرر الكلام مرتين تحقيقا وتقريرا ، وتكرار المسند إليه لفظا وتقديرا يكسب إسناد الفعل إليه قوة وتأكيدا ، ويحقق له نسبة المسند للمسند إليه ، ونفي الشك عن الخبر أو الإنكار له ، في إيجاز بديع أسر العقل، وشغل الفكر.

وتكرار حرف التوكيد ( إن ) في هذا المقام لأنه مقام الحديث عن العادات ، وكثرة حدوثها من جهة الناس ، فتكرار المؤكد من تكرا الفعل ذاته ، كما أنها كررت رغبة من النبي – صلى الله عليه وسلم – في لفت انتباه السامع إلى تلك العادة الفطرية كثيرة التكرار بمؤكد يتسم بالإيجاز والقوة ، ويضفي على الخبر المؤكد بها كثيرا من معاني اللطف والدقة ، مما يترتب على ذلك تمكينه في نفس السامع ، وحمله بألطف وجه على الإذعان للخبر ، نظر لتحقق مضمون الجملة الاسمية ، وتقرير النسبة بين جزأيها ، ونفي الشك عنها ، والإنكار فيها ، وذلك بحسب العلم بالنسبة بين الجزأين ، والتردد فيها ، والإنكار لها [(١)] ، " ومن يتتبع مواقع " إن " ثم يلطف النظر ، ويكثر التدبر ، يعلم علم ضرورة أن ليس سواء دخولها ، وأن لا تدخل "[(٢)].

(١) ينظر :أساليب التوكيد في سنن الترمذي – ياسر سلامة الوكيل : ٢٦٧ بتصرف ، رسالة دكتوراه – مخطوط في مكتبة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود – بحيرة – ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م .

(٢) ينظر : دلائل الإعجاز : صـ ٢١٥ .

والحديث من الخبر الذي أريد به الإنشاء والمراد : أطعموا الاثنين طعام الواحد ، وأطعموا الثلاثة والأربعة طعام الاثنين ، وأطعموا الخمسة والستة طعام الأربعة... وهكذا .

قال الشيخ عز الدِّين بن عبد السلام: " إن أريد به الإخبار عن الواقع فذلك مشكل؛ لأنَّ طعام الاثنين لا يكفي إلاَّ الاثنين، وإن كان له معنى آخر فما هو؛ قال: والجواب من وجهين: أحدهما: أنه خبر بمعنى الأمر؛ أي أطعموا طعام الاثنين الثلاث ، والثاني: أنه للتنبيه على أنَّ ذلك يقوت الثلاث، وأخبرنا بذلك لئلا نجزع. قال: والأول أرجح؛ لأنَّ الثاني معلوم "[1].

وإنما وضع الخبر موضع الإنشاء قصدا لتأكيد المعنى وإقراره في النفس طمأنة لها من عدم الخوف من الجوع، أوالجزع من الفقر تفاؤلا ، لاسيما في أوقات الشدة والضيق ، مع ما فيه من حمل المخاطب على تحصيل المطلوب ، والتنبيه إلى سرعة الامتثال به ، يقول الشيخ الدسوقي: " إن الطالب لشيء إذا عظمت رغبته كثر تصوره له ، وانتقشت صورة مطلوبه في خياله ، فيخيل له أن مطلوبه غير الحاصل حاصل من زمان مضى ، فيعبر بالماضي المفيد الحصول للدلالة على الحرص في وقوعه "[2] .

(١) ينظر : قوت المغتذي على جامع الترمذي : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي : ١ / ٤٥٣ ، تحقيق ودراسة: ناصر بن محمد بن حامد الغريبي – رسالة دكتوراه – جامعة أم القرى، مكة المكرمة – كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة – عام النشر: ١٤٢٤ هـ .

(٢) ينظر: حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص : ٢ / ٣٣٨ ط: دار الكتب العلمية بيروت

هذا وإظهار الحرص على الوقوع مع التفاؤل ، لا تنافي بينهما ، فللبليغ إحضارهما في التعبير بصيغة المعنى عند الطلب"[١] .

" والحكمة في كونه يزيد كل أحد واحدا فقط أن عيشهم في ذلك الوقت لم يكن متسعا فمن كان عنده مثلا ثلاثة أنفس لا يضيق عليه أن يطعم الرابع من قوتهم وكذلك الأربعة وما فوقها بخلاف ما لو زيدت الأضياف بعدد العيال فإنما ذلك يحصل الاكتفاء فيه عند اتساع الحال"[٢].

إن قلت يخالف هذا الحديث ما رواه مسلم وغيره عن جابر «أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة وطعام الأربعة يكفي الثمانية» [٣].

الجواب : ليس ذلك على التحديد وإنما القصد المواساة وأنه ينبغي للاثنين إدخال ثالث في طعامهما وإدخال رابع أيضا بحسب من يحضر ويدل لذلك أن في سنن ابن ماجه من حديث عمر مرفوعا «إن طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الثلاثة والأربعة» فجمع بين ما في حديث أبي هريرة، وما في حديث جابر في حديث واحد فدل على أن القصد الحض على إطعام الطعام، ومواساة المحتاج والضيف على كل حال وحديث جابر فيه زيادة على حديث أبي هريرة وإن اتحد مقصودهما والله أعلم[٤].

(١) ينظر: مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص : ٢ / ٣٣٨ ط: دار الكتب العلمية بيروت

(٢) ينظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري : ٦ / ٥٩٥ .

(٣) ينظر : صحيح مسلم باب فضيلة المواساة في الطعام – حديث رقم ( ٢٠٥٩ ) عن جابر بن عبد الله .

(٤) ينظر : طرح التثريب في شرح التقريب : ٦ / ١٥

ووقع في رواية أخرى للحديث : ( وإن أربع فخامس أو سادس ) وأو فيه للتنويع أو للتخيير كما في الرواية الأخرى ويحتمل أن يكون معنى أو سادس وإن كان عنده طعام خمس فليذهب بسادس ، فيكون من عطف الجملة على الجملة ، وقوله وإن أربع فخامس بالجر فيهما والتقدير فإن كان عنده طعام أربع فليذهب بخامس أو بسادس ، فحذف عامل الجر وأبقى عمله كما يقال مررت برجل صالح وإن لا صالح فطالح أي إن لا أمر بصالح فقد مررت بطالح ويجوز الرفع على حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وهو أوجه [١].

قال بن مالك تضمن هذا الحديث حذف فعلين وعاملي جر مع بقاء عملهما بعد إن وبعد الفاء والتقدير من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث وإن قام بأربعة فليذهب بخامس أو سادس ، وهذا قاله في الرواية التي في الصلاة وأما هذه الرواية وهي قوله بخامس بسادس فيكون حذف منها شيء آخر والتقدير أو إن قام بخمسة فليذهب بسادس[٢].

والاكتفاء : بمعنى حصول سد الرمق وقيام البنية لا حقيقة الشبع ، والتعبير به دون الشبع ؛ لأن الاكتفاء دون الشبع " يريد أنه ما شبع اثنان يكفى ثلاثة رجال وما يشبع منه ثلاثة يكفى أربعة والكفاية ليست بالشبع والاستنباط كما أنها ليست بالغنى والإكثار"[٣].

والمراد من روايات هذا الحديث الحض على المكارمة في الأكل والمواساة والإيثار على النفس الذي مدح الله به أصحاب نبيه،

(١) ينظر :فتح الباري – ابن حجر العسقلاني :٦ /٥٩٥ .

(٢) ينظر :السابق نفسه.

(٣) ينظر : شرح صحيح البخاري لابن بطال : ٩ / ٤٧١ .

فقال:{وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}[١]، ولا يراد بها معنى التساوي في الأكل والتشاح؛ لأن قوله عليه السلام: (كافي الثلاثة) دليل على الأثرة التى كانوا يمتدحون بها والتقنع بالكفاية "[٢]

وعلى كلٍ فإن والغرض من جميع روايات الحديث واحد وهو "أن الرجل ينبغي أن يقنع بدون الشبع، يصرف الزائد إلى محتاج آخر ، وشبع الأقل قوت بالأكثر، وفيه الحث على مكارم الأخلاق والتقنع بالكفاية[٣].

وهذا الحديث يحث على التلاحم والتعاطف فيما بيننا ، والتعاون على البر والتقوى ، وغلق كل ثغرة من الثغرات التي قد تؤدي إلى التشاحن والبغضاء ، وسد كل منفذ يوصل بالمجتمع إلى التفرقة والتطاحن ، لاسيما في باب العادات ، وفتح جميع أبواب الحق إحقاقا له ، وجمع القلوب المؤلفة على المودة والمحبة والمؤاخاة فيهتدي إليها .

(١) سورة الحشر : بعض آية :٩

(٢) ينظر : شرح صحيح البخاري لابن بطال : ٩ / ٤٧١ .

(٣) ينظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : ٧ / ٢٦٩٩ .

## ما ينبغي فعله بعد الأكل

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ[1] ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»[2]

للأكل والشرب آداب فعلية وآداب قولية ، أما الآداب الفعلية: فإن يأكل باليمين ويشرب باليمين، ولا يحل له أن يأكل بشماله أو يشرب بشماله، فإن هذا حرام على القول الراجح؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يأكل الرجل بشماله أو يشرب بشماله، وأخبر أن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله، وألا يأكل متكأ ، وألا يكونوا وقت الأكل متفرقين .

وأما الآداب القولية: فإن عليه أن يسمي الله عند بداية الأكل، يقول: باسم الله، وأما عند الانتهاء فمن الآداب أن يحمد الله عز وجل على هذه النعمة حيث يسر له هذا الأكل، مع أنه لا أحد يستطيع أن ييسره، كما قال تعالى: { أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ}[3]، { أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ}[4]، لولا أن الله عز وجل نمى هذا الزرع حتى كمل،

---

(١) أنس بْن مالك بْن النضر الأنصاري الخزرجي النجاري. من بني عدي بْن النجار ، خادم رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتسمى به، ويفتخر بذلك، توفي سنة إحدى وتسعين، وقيل: سنة اثنتين وتسعين، وقيل: سنة ثلاث وتسعين، كان عمره مائة سنة وعشر سنين .[ ينظر أسد الغابة في معرفة الصحابة :١ / ٢٩٤ ] .

(٢) صحيح مسلم – كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار – باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب ، حديث رقم ( ٢٧٣٤ ) عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – .

(٣) سورة الواقعة: آية :٦٣، ٦٤

(٤) سورة الواقعة : آية :٦٨ ، ٦٩

وتيسر حتى وصل بين يديك، لعجزت عنه الأرض حتى استخرجته لما حصل لك هذا، ولهذا قال في الزرع: { لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ}(١)، وقال في الماء: { لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلا تَشْكُرُونَ}(٢)، فلهذا كان من شكر نعمة الله عليك بهذا الأكل والشرب أن تحمد الله إذا انتهيت من الشرب أو من الأكل، ويكون هذا سبباً لرضا الله عنك.

ولا شك أن لصدر الحديث في البيان النبوي صفة غالبة من صفات الإثارة والتشويق ، وهي أفانين لا ينتهي العجب منها ، كتقديم الوعيد الشديد بالعقاب ، أو الوعد الأكيد بالثواب لتقدر النفس قيمة الفعل ، فتفر منه هربا ، أو تندفع إليه طلبا (٣).ولقد جاء الحديث الشريف مصدرا بجملة اسمية مُؤَكَّدَةٍ بعدة تأكيدات ، وحاملة معناً شريفاً تأنس به النفوس ، وتطرب لسماعه القلوب والآذان ، وذلك في قوله : «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ »، فجاء المعنى في صورة الجملة الاسمية لإفادة الثبوت والدوام ، وتصديرها بحرف التوكيد ( إن ) تأكيد على تأكيد ، ودخول اللام على الخبر ( ليرضى ) كأنه كرر الجملة ثلاث مرات ، كما أن تأكيد الخبر باللام ( ليرضى عن العبد )؛ لِبُعْدِ ما ذُكِرَ عن الإفهام ، لعدم جريه على المألوف العام ، إذ كيف يكون هو المتفضل على العبد بالرزق، ويرضى عنه بالحمد ، فهو من قبيل تنزيل غير العالم بالحكم منزلة المنكر له ، لغرابة يحملها الخبر ، أو لثواب ما يسمعه من ثواب على العمل القليل ، فأي شيء يتمناه العبد بعد الفوز برضا الله – تعالى – عنه .

(١) سورة الواقعة : آية :٦٥

(٢) سورة الواقعة : آية :٧٠

(٣) ينظر : الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية : صـ ٣٨٧ .

وتقديم المسند إليه (إن الله) على خبره الفعلي المثبت ( ليرضى) لإفادة تقوية الحكم حتما وتأكيد حدوثه ، بتكرار المسند إليه لفظا وتقديرا، ترسيخا وتأكيدا له في نفوس المخاطبين ، ومن ثم ناسب مجيء الخبر مؤكداً بتلك الصور المتعددة من التأكيد والتقرير ، كما أن التعبير بالمضارع في قوله:( ليرضى) إشارة إلى حدوث الفعل وتجدده بتجدد ما يؤمر به العبد، حتى وإن كان في باب العادات فالثواب دائم مستمر من الله ما دام الفعل واقعا ثابتا من العبد .

وإسناد فعل الرضا لله تعالي ليس على ظاهره ، وإنما هو من الكناية اللطيفة التي تساعد على إثارة التشويق والترقب لما يقال بعد ذلك ، وهي كناية على قبول العمل والإثابة عليه ، مثله في ذلك صفات التعجب والغيرة ، والضحك ، والسخط ، والمشي والسعي والهرولة ، وما فيه صورة التشبيه والتمثيل والتكييف .

ومن ذلك حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يَعْجَبُ رَبُّكُمْ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي شَظِيَّةٍ يُؤَذِّنُ بِالصَّلَاةِ وَيُقِيمُ "(١)

والعجب تعبير عن روعة تأخذ القلب لمثير يعظم ويخفى سببه، إلا أنه كذلك إذا نسب إلى البشر ، ويخرج عن ذلك أحيانا إذا قصد به إثارة الاهتمام بالخبر مع علم المتكلم بالسبب الذي يبطل عنده التعجب ، كما يخرج عن هذا الأصل مطلقا إذا أسند إلى الله – تعالى – لاستحالته على حقيقته ، ويكون القصد منه دائما مع هذه النسبة بعث النشاط لدى المخاطب ، وإثارة الانتباه إلى ما يكون العجب منه ، حملا للسامع على

(١) سنن أبي داوود : أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني – باب الأذان في السفر – حديث رقم ( ١٢٠٣) عن عقبة بن عامر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت .

الاهتمام ، ويكون معناه لازم العجب ، وهو الرضا والقبول ، وفي ذلك تنويه بشأن المرضيِ عنه ، وتعظيم لعمله ، فلما أراد النبي – صلى الله عليه وسلم – تعظيم أقدار هذه الأفعال في القلوب أخبر عنها باللفظ الذي يقتضي التعظيم ، حثا على فعلها ، وترغيبا في المبادرة إليها [١] .

ومن حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يَضْحَكُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، كِلَاهُمَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُسْتَشْهَدُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى قَاتِلِهِ فَيُسْلِمُ، فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُسْتَشْهَدُ»[٢].

ومعناه في هذا الخبر على المجاز أي أن الله تعالى يظهر نعمه ومننه لهذين الرجلين ، وليس ذلك الضحك المعهود، خلافا لما ذهب بأنه ضحك حقيقي ولكنه ليس كضحك البشر كما ان كلامه ليس ككلام البشر، وذلك لأن تأويل الكلام وصرفه إلى المجاز راجع إلى استخدام الكلمة في القاموس العربي، وأن من معانيها الظهور والبروز والإيضاح على وجه مخصوص منه قال: ضحكت الأرض بالنبات:إذ ظهر نباتها ، ومنه قول القائل الأرض تضحك من بكاء السماء وسقيها، أي بظهور زهرتها ونورها من نطر السماء وسقيها، وأن معنى وصف الله جلً ذكره به من الضحك، فهو على معنى إظهار ألطافه وفوائده ومننه ونعمه[٣].

(١) مشكل الحديث وبيانه : محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، صـ : ١٩٢ – المحقق: موسى محمد علي– الناشر: عالم الكتب – بيروت – الطبعة: الثانية، ١٩٨٥م.

(٢) سنن ابن ماجه –– باب ما أنكرت الجهمية – حديث رقم ( ١٩١) عن أبي هريرة

(٣) ينظر : مشكل الحديث وبيانه : صـ ٤٧٦ .

جاء في تأويل مختلف الحديث " قالوا حديث في التشبيه- عجب الرب وضحكه: قالوا: رويتم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «عَجِبَ رَبُّكُمْ مِنْ إِلِّكُمْ وَقُنُوطِكُمْ وَسُرْعَةِ إِجَابَتِهِ إِيَّاكُمْ»[1] و"ضحك من كذا"، وإنما يعجب ويضحك، من لا يعلم، ثم يعلم فيعجب ويضحك" [2].

قال ابن قتيبة :" ونحن نقول: إن العجب والضحك، ليس على ما ظنوا، وإنما هو "على حل عنده كذا، بمحل ما يعجب منه، وبمحل ما يضحك منه" ، لأن الضاحك إنما يضحك لأمر معجب له، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصاري الذي ضافه ضيف، وليس في طعامه فضل عن كفايته، فأمر امرأته بإطفاء السراج ليأكل الضيف، وهو لا يشعر أن المضيف له لا يأكل ، "لقد عجب الله تعالى من صنيعكما البارحة" أي حل عنده محل ما يعجب الناس منه ، وقال تعالى لنبيه – صلى الله عليه وسلم – : {وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ }[3]، لم يرد أنه عندي عجب، وإنما أراد: أنه عجيب عند من سمعه[4].

ومن حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللهَ يَغَارُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ" [5]

---

(١) شرح السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي : ١٤ : ٣٦٥ – تحقيق: شعيب الأرنؤوط–محمد زهير الشاويش – الناشر: المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت: الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م

(٢) ينظر : تأويل مختلف الحديث : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري : صـ ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، الناشر: المكتب الاسلامي – مؤسسة الإشراق ، الطبعة الثانية– مزيده ومنقحة ١٤١هـ – ١٩٩٩م ٠٠

(٣) سورة الرعد : آية : ٤٠٢ .

(٤) ينظر : تأويل مختلف الحديث : صـ ٣٠٥ ، ٣٠٦ ،

(٥) صحيح البخاري – كتاب النكاح – باب الغيرة – حديث رقم ( ٥٢٢٣ ) عن ابي هريرة .

الغيرة في اللغة : الحمية والأنفة [١] ، وفي الوصف يقال : رجل مغيار : أي شديد الغيرة ، قال النابغة : [٢]

شمسٌ موانع كل ليلة حرةٍ *** يخلقن ظن الفاحش المغيار[٣]

وهي مشتقة من تغير القلب ، وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به اختصاص ، وأشد ما يكون بين الزوجين والأهلين ، غير أن مفهومها يتسع حتى يشمل الغيرة على الحريات ، والقيم ، والغيرة على الدين والعقيدة ، وكل ما يعتز به العاقل ، هذا في حق الآدميين .

أما إذا أسندت إلى الله تعالى ، فليس المراد منها ما يخالط البشر عند وجود ما يتطلبه ، بل إن غيرة الله – تعالى – أن يمنع المؤمن من الوقوع في المحظورات ، والاقتراب من المنهيات ، فتوعد للواقع فيها شديد الوعيد ، من حساب وعقاب يوم القيامة ، حتى يكون زجرا عن ملابستها أو اقترافها ، ومن ثم في من إطلاق اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى اللغوي ، وما يحمله اللفظ من مفاهيم .

ومن حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا،

(١) لسان العرب : مادة ( غ ي ر )

(٢) النابغة الذبياني : زياد بن معاوية ، ويكنى : أبا أمامة ، وأهل الحجاز يفضلونه وزهيرا ، كان احسن زمانه ديباجة وشعرا ، وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلهم بيتا [ الشعر والشعراء – ابن قتيبة : ١ : ١٥٧ ]

(٣) ديوان النابغة الذبياني : صـ ٥٨ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – طبعة : دار المعارف – الثالثة .

وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[1].

ومعنى قوله:(وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا) فيحتمل أوجها: أحدها أن يكون معناه الإخبار بسرعة الإجابة لمن أطاعه ودعاه وتقرب إليه وأراد بالاقتراب قرب المنزلة والخطوة لديه لا قرب المسافة والمساحة فيكون هذا الكلام تشبيها وتمثيلا .

ويحتمل أن يكون أراد به من أتاني مسرعا بالطاعة أتيته بالثواب أسرع من إتيانه، ويحتمل أن يكون معناه على معنى ما قال جل وعز: { مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا}[2]، أي من أطاعني طاعة واحدة جازيته عليها عشرا ويكون ذلك إخبارا عن ما يفعلهم من تضعيف الثواب، ويحتمل أن يكون معناه أي أزيد إلى المتقرب إلى شكر نعمتي نعما كما وعدت الشاكرين من الزيادة .

وأما المشي والهرولة فتوسع وهذا كما قالت العرب فلان موضع في الضلالة ، والإيضاح الإسراع في السير وليس يراد به ههنا نفس السير وإنما المراد الإسراع في الضلالة وعلى ذلك معنى قوله سبحانه {وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ} [3]، والسعي هو العدو والإسراع في المشي وليس يراد بذلك أنهم مشوا بل المراد بذلك استعجالهم المعاصي ومبادرتهم إلى فعلها"[4].

---

(١) صحيح مسلم – كتاب العبادات – باب الحث على ذكر الله تعالى – حديث رقم ( ٢٦٧٥ ) عن أبي هريرة

(٢) سورة الأنعام : بعض آية :١٦٠

(٣) سورة الحج : بعض آية :٥١

(٤) ينظر : مشكل الحديث وبيانه : صـ : ٢١٧ – ٢١٩ .

وعلى هذا فإن المراد بإسناد الرضا إلى الله تعالى في قوله : «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ » ليس على ظاهره، وإنما هو كناية عن قبول العمل وعظم أجره عند الله تعالي، فالرضا تعبير عن روعة وقعت تأخذ القلب لاستحسان فعل ، أو لعظيم عمل ، أو جميل فعال ، ويأتي قصدا إلى إثارة الاهتمام بالخبر، كما يخرج عن هذا الأصل مطلقا إذا أسند إلى الله – تعالى – لاستحالته على حقيقته، ويكون القصد منه دائما مع هذه النسبة بعث النشاط لدى المخاطب ، وإثارة الانتباه إلى ما يكون منه الرضا ، حملا للسامع على الاهتمام ، ويكون معناه لازم التشويق والترقب ، لاسيما وأن الحديث داخل في باب العادات اليومية ، وهو الرضا والقبول ، وفي ذلك تنويه بشأن المرضيِّ عنه ، وتعظيم لعمله ، " فلما أراد النبي – صلى الله عليه وسلم – تعظيم أقدار هذه الأفعال في القلوب أخبر عنها باللفظ الذي يقتضي التعظيم ، حثا على فعلها ، وترغيبا في المبادرة إليها" (١) .

و( ال ) في ( العبد ) في قوله : ( ليرضى عن العبد ) للجنس أو للاستغراق (٢)، أي كل عبد يأتي بتلك الخصلة المنوط بها محل رضا الله تعالى .

والتعبير بالعبد دون المرء إشعار بمزيد الفضل والإحسان من المنعم بالعطاء إلى العباد ، إذ أن في معنى العبودية من الضعف والحاجة الملحة ، وطلب الشيء بإذلال ، وأخذه تفضلا من المنعم ، فالعبد من اقر بالعبودية ، وأظهر العجز في لين وذل ، قال ابن فارس

(١) ينظر : مشكل الحديث وبيانه : ، صـ : ١٩٢ ، والحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية : صـ ٣٨٦ .

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : ٧ / ٢٧٠٩ .

في معجمه : " العين والباء والدال أصلان صحيحان، كأنهما متضادان، و الأول من ذينك الأصلين يدل على لين وذل، والآخر على شدة وغلظ " (١).

ومن ثم فإن حمد الله على العطاء أمر واجب على من يعبده ، ومع ذلك يعطي عليه الثواب الجزيل ، والفضل الواسع بأن يفوز الحامد رضوان الله تعالى .

وقوله : « أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»، أي بسبب أن يأكل، أو لأجل أن يأكل، أو وقت أن يأكل، أو مفعول به ليرضى يعني يحب منه أن يأكل ، " ويحتمل أن يكون أن ومدخولها بدل من العبد بدل اشتمال والمرضي منه هو الحمد على الأكل والشرب" (٢).

و( الأَكْلة ) : بفتح الهمزة على وزن (فَعْلة) بفتح الفاء وسكون العين اسم مرة، أي: المرة من الأكل حتى يشبع، أي الغدوة بالنهار ، والعشوة بالليل ، وكذا« أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا» أي المرة الواحدة من الشرب، و ( أو ) الواقعة بين الجملتين للتنويع بين الفعلين، بمعنى أن الحكم ثابت في فعل الأكل وفعل الشرب ، وقيل إنها للشك وهو إغراب عن مراد الحديث(٣)، وأتى ببناء المرة فيهما إشعاراً بأنه يستحق الحمد على النعمة وإن قلت (٤) .

(١) معجم مقاييس اللغة – مادة ( عبد ) : ٤ / ٢٠٥

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين : ٤ / ٣٣٩ .

(٣) ينظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : ٧ / ٢٧٠٩ .

(٤) ينظر : دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين : ٢ / ٣٨١ .

ويروى ( الأُكْلة ) بضم الهمزة أي: اللقمة الواحدة من الأكل ، ورواية الضم أوجه[١] وهي أبلغ في بيان اهتمام أداء الحمد، لكن رواية الفتح أوفق مع قوله: أو يشرب الشربة، فإنها بالفتح لا غير، وكل منهما مفعول مطلق لفعله [٢].

« فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا » (فيحمده) : بالنصب وهو ظاهر، وفي نسخة بالرفع خبر لمبتدأ محذوف أي: فهو يحمده – أي العبد – يحمده، وفي رواية: " فيحمد الله عليها " وهي رواية أبلغ وأظهر من رواية الباب ؛ لما في اسم الجلالة من معنى الجلال والكمال ما لا يوجد في رواية التعبير بالضمير ( فيحمده عليها ) .

وفي تكرار الجملة مع فعل الأكل أو الشرب ، وعدم الاكتفاء بذكرها في الأولى ، أو الجمع بينها في حكم واحد ، تأكيدا لتلك البشارة في نفوس المخاطبين ، وإظهارا للمنة والنعمة ، حتى تدخل البهجة ، ويحل السرور في قلب كل من قام بالفعل على حدة ، يقول صاحب المثل السائر : " واعلم أن المفيد من التكرير يأتي في الكلام تأكيدا له ، وتشديدا من أمره ، وإنما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذي كررت في كلامك " [٣].

وعلى كل فإن الحديث الشريف رسم صورة أخرى من صور عطاء الله الدائم ، وجَّه الصحابة الكرام ، وكل من يتأتى منه الخطاب

---

(١) ينظر : مطالع الأنوار على صحاح الآثار – إبراهيم بن يوسف بن أدهم ، أبو إسحاق ابن قرقول : ١ / ٢٥٣ تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث – الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م .

(٢) ينظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : ٧ / ٢٧٠٩ .

(٣) ينظر : المثل السائر في أدب الشاعر والكاتب : ٢ / ١٤٧ .

إلى باب آخر من أبواب رضا الله تعالى ، وهو من أيسر البواب وأسهلها أخذا وتلك آية من آيات فصاحته النبي – صلى الله عليه وسلم – وبلاغته العالية ، ففي هذا الحديث بيان غاية الكرم من المولى سبحانه وتعالى، أن يتفضل على عبده بالرزق، فإذا حمده رضي عنه.(١)

" فإن الله يُحِبُّ المحامدَ، ويرضى عن عبدِه أنْ يأكلَ الأكلة، فيحمده عليها، ويشرب الشربة، فيحمَده عليها، والثناء بالنِّعم والحمدُ عليها وشكرُها عندَ أهل الجود والكرم أحبُّ إليهم من أموالهم، فهم يبذلُونَها طلباً للثناء، والله – عز وجل – أكرمُ الأكرمين، وأجودُ الأجودين، فهو يَبذُلُ نِعَمَهُ لعباده، ويطلب منهم الثناءَ بها، وذكرها، والحمد عليها، ويرضى منهم بذلك شكراً عليها، وإنْ كان ذلك كلُّه من فضله عليهم، وهو غيرُ محتاجٍ إلى شكرهم، لكنَّه يُحِبُّ ذلك من عباده، حيث كان صلاحُ العبدِ وفلاحُه وكماله فيه".(٢)

**هذا والله أعلى وأعلم وأعز وأحكم**

**والحمد لله بداية لا تنتهي ونهاية لا تزال تبدأ**

**********

(١) ينظر : تطريز رياض الصالحين – فيصل بن عبد العزيز المبارك الحريملي النجدي : ١ / ٢٥٩ المحقق: د. عبد العزيز بن عبد الله آل حمد– طبعة : دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض : الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م .

(٢) ينظر : جامع العلوم والحكم – لابن رجب الحنبلي : ٢ / ٧١٦ .

## الخاتمة

" فإن بلاغة الرسول ــ ﷺ ــ من صنع الله ، وما كان من صنع الله تضيق موازين الإنسان عن وزنه ، وتقصر مقاييسه عن قياسه ، فنحن لا ندرك كنهه ، وإنما ندرك أثره ، ونحن لا نعلم إنشاءه ، وإنما نعلم خبره ... بلاغة النبوية هي المثل الأعلى للبلاغة العربية ، وإذا كان كلام الله كتاب البيان المعجز ، فإن كلام الرسول ــ ﷺ ــ سنة هذا البيان، وإذا كان البلاغ صفة كل رسول، فإن البلاغة صفة النبي محمد ــ ﷺ ــ وحده [١] .

وبعد هذه الدراسة البلاغية التحليلية المتواضعة لأسرار البيان النبوي الكريم في حديثه عن آداب الطعام ،ــ راجيا من الله تعالى ــ أن أكون قد أسهمت في بيان بعض من بلاغة النبي ــ ﷺ ــ ، وأسرار مواطن الجمال في أسلوبه الشريف ــ ﷺ ــ وبعد هذه الإطلالة البلاغية التحليلية ، توصل البحث إلى بعض النتائج التي لوحظت في هذا الباب ومنها :

**أولا :** اتسم البيان النبوي الشريف في الحديث عن آداب الطعام ، – وهو أمر من عادات الناس ، وعنصر مطلوب في حياتهم المعيشية – اتسم بسهولة في العرض ووضوح في الدلالة، مما يتلاءم ومقام النصح والإرشاد ترغيبا وترهيبا ، فاختار من الألفاظ الدالة على المعاني أمسها بها رحما ، وأفصحها دلالة ، وأقربها إلى ذهن المخاطب ، مما يسهل معها فهم المعنى والوقوف على مراده ٠

(١) وحي الرسالة:أحمد حسن الزيات: ٣/ ١٠٥ ط:دار الثقافة ، بيروت لبنان،السادسة ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م

**ثانيا :** اعتماد النبي ــ ﷺ ــ في حديثه عن آداب الطعام ، وهو من عادات الناس ، ومتطلباتهم المعيشية، على الأسلوب الخبري، لكونه الأوضح والأقدر على تأكيد المعاني في النفوس وإقرارها في القلوب والأذهان، ونوَّع فيها بين الجمل المؤكَدة، وغير المؤكَدة، حسب ما يتطلبه المعنى ويقتضيه المقام، بينما قلت الأساليب الإنشائية في بيانه الشريف في هذا المقام ، وفي هذا دلالة ظاهرة على أن الصحابة الكرام ــ رضوان الله عليهم أجمعين ــ كانوا يمتثلون لما في تلك الأخبار من نصح وإرشاد فيأخذون ما بها من ترغيب وترهيب ، فيعمدوا على فعل أوامره وترك نواهيه، دون الانتظار إلى أمر صريح ، أو نهي ظاهر ، اكتفاءً بما فُهِمَ من ألفاظ الخبر الفصيحة ، ودلالة أساليبه العالية .

**ثالثا :** دعوة المخاطبين لمشاركة النبي ــ ﷺ ــ في وضع المعاني وإنشائها ، إن لم يكن باللفظ الظاهر فبالعقل والوجدان ،وذلك باعتماده ــ ﷺ ــ على الحال والواقع في تقريب المعاني للأذهان ، وتقريرها في النفوس في صورة السؤال الذي يحتاج إلى جواب من المخاطبين ، وفي هذا تقدير من النبي ــ ﷺ ــ لعقلية المخاطبين، والإبعاد بهم عن الانصراف عن الكلام، وهذا من دلائل بلاغة المتحدث وحسن بيانه .

**رابعا :** تنوع أساليب البيان النبوي في الحديث عن آداب الطعام بين أساليب الإيجاز والإطناب ، والمساواة على حسب مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، و كان إطنابه - ﷺ – حملا للمخاطبين على فهم المعنى والتوسع في إدراكه ، بتنوع صوره وتعدد أساليبه طلبا للفهم والإفهام ، وقصدا للتأكيد والتقرير ، كما أن إيجازه – ﷺ – يفيض بالدلالات التركيبية ، والخصائص الأسلوبية مما يساعد – أيضا – على الفهم الإفهام، فتأتي المعاني في قوالب من الألفاظ والتراكيب مما يتناسب مع

مقام النصح والإرشاد ، والحث والحض على البعد عن شهوات الدنيا وملذاتها ، وأن يتناول المرء منها ما يؤهله إلى الفوز بالآخرة فهي أولى بالتحصيل وأجدر بالرضا ٠

واتضح من خلال هذا البحث قيمة المساواة وبيان أنها في البلاغة العربية جزءٌ لا يتجزأ منها تطلب حين يحتاج المقام لها كما يطلب قسميها الإيجاز والإطناب ، فهي من باب تحديد المعاني ، والتركيز عليها ، دون إطالة أو تقصير ، فهي حجة حين يقتضيها المقام ، برهان حين تفصح عن مراد المتكلم من أفكار تصل إلى المخاطب في أحسن صورة من اللفظ

فقضية المساواة في الكلام ، وهل هي من البلاغة ؟ أو يقتصر على الإيجاز أو الإطناب لكي تكون قوالب للمعاني طيا وبسطا دار الكلام فيها كثيرا بين النقاد والبلاغيين ، حتى استقر القول على أن لكل من المقامات الثلاثة أحوالا متعينة ، ومقتضيات مختلفة ، تكون كل منها في غاية البلاغة والبيان حين تضع موضعها ، وليست المساواة أقل حظا من الناحية البلاغية في أداء المعنى ، يقول أسامة بن منقذ " اعلم أن النقاد قالوا: ينبغي أن يكون اللفظ على قدر المعنى، ولا يكون أطول منه ولا أقصر، ولذلك قالوا: خير الكلام ما كانت ألفاظه قوالب لمعانيه، فمتى كان اللفظ أكثر من المعنى كان الكلام واسعاً وضاع المعنى فيه " (١)

**خامسا :** استخدم النبي – صلى الله عليه وسلم – أسلوب الحوار بين المتكلم والمخاطبين في حديثه عن أداب الطعام جذبا المخاطبين

(١) ينظر : البديع في نقد الشعر : أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن منقذ :١٥٤،.

إليه ، وقد اشتملت السنة النبوية على العديد من المواقف الحوارية الناجحة بين النبي – صلى الله عليه وسلم – وأزواجه وأصحابه وأتباعه وغيرهم خلال مسيرة حياته الشريفة، وبقيت منهجاً واضحاً وزاخراً بكل نافع ومفيد للمسلمين وغيرهم حتى قيام الساعة " والحوار من بين الفنون التي توسل بها النبي – صلى الله عليه وسلم – ليصل بها إلى الآخرين ، فسمة السّؤال، والحوار شائعة في الحديث النّبويّ الشّريف، وهي مرتبطة ارتباطًا منطقيًّا بسمات الحياة المشهودة، والجُمل الممتدّة المتداخلة؛ لأنّ السّؤال يكون من أفراد يشهدون الموقف، والحوار ينتج عن هذه التّساؤلات، والإجابات عنها ، وسمة السّؤال والحوار – كذلك – سمة بَدَهيَّة في الحديث الشّريف؛ لأنّه حديث نبيّ إلى قومه يُعلّمهم، ويُجيب عن أسئلتهم، ويُصحّح أخطاءهم، ويُلبّي دعواتهم ، لذلك فإنّ معظم أحاديث النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لا تخلو من هذه السّمة [1].

**سادسا :** استطاع البحث – من خلال شواهده الحديثية المختلفة – الوقوف على ما ظاهره التشبيه والتكييف والتمثيل من صفات ، وأفعال نسبت إلى الله – تعالى – لفظا ، كالرضا والسخط ، والعجب والضحك ، والغيرة والحياء ، والمشي والسعي والهرولة ، وما شابه ذلك من صفات وأفعال تستحيل في حق الله ظاهرا ، وإنما هي من قبيل التجوز في الصفات ، أو صور كنائية بيانية ، الغرض منها التأكيد على قبول العمل ، والمبالغة في إثبات الإثابة عليه ، لاسيما في أمر يعده الناس من العادات التي لا يثاب المرء على فعلها .

(١) ينظر : مناهج الجدل في القرآن الكريم – د/ زاهر عواض اللمعي : صـ ٣ بتصرف ظاهر .

**وبعـــد :** فهذا جهدي ـــ وهو جهد المقل ـــ وحسبي أنني فـــزت بمعايشة كلام النبي ـــ ﷺ ـــ ولو للحظات، احتسبتها عنـــد الله تعـــالى، داعيا المولى سبحانه ، كما رزقنا إتباع هدي النبي ـــ ﷺ ـــ ومدارســـة سنته في الدنيا ـــ أن يرزقنا شفاعته في الآخرة ، يوم ينظر المرء مـــا قدمت يداه، كما أسأله ـــ سبحانه ـــ أن يجعلني وأساتذتي الكرام ممـــن نضر وجوههم بسبب مدارستهم كلام النبي ـــ ﷺ ـــ وإبلاغهـــم عنـــه مقالته ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

**والحمد لله بداية لا تنتهي ونهاية لا تزال تبدأ**

**وصل الله على النبي محمد -ﷺ -وعلى آله وصحبه الطيبين الأخيار**

**د/أحمد محمود محمد الجبالي**

**أستاذ البلاغة والنقد المساعد " جامعة الأزهر "**

## فهرس المصادر والمراجع

**أولا : القرآن الكريم : { ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ }**

**ثانيا :**


١- أثر التشبيه في تصوير المعنى " قراءة في صحيح مسلم " د/عبد الباري طه سعد – صـــ ٢٢٧،٢٢٨ بـــدون طبعـــة ، الأولـــى ١٤١٢هـــ / ١٩٩٢م .

٢- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: للإمام أحمد بن محمد بـــن أبى بكر القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين : الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصـــر ، الطبعـــة: الســـابعة، ١٣٢٣ هـــ

٣- أساس البلاغة – أبو القاسم محمود بن عمرو ، الزمخشري جـــار الله – تحقيق: محمد باسل عيون الســـود ، الناشـــر: دار الكتـــب العلمية، بيروت – لبنان : الأولى، ١٤١٩ هـــ – ١٩٩٨ م .

٤- الأساليب الإنشائية في ضوء القرآن الكريم – دكتـــور/ بســـيوني عرفة رضوان – طبعة دار الرسالة – بدون

٥- الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم،أد /صبَّاح عبيد دراز:صـــ ٢٧٦، مطبعـــة الأمانـــة ـــ مصـــر ، الأولـــى :١٤٠٦هـــ ، ١٩٨٦م٠

٦- أساليب التوكيد في سنن الترمذي – ياسر سلامة الوكيل : ، رسالة دكتوراه – مخطوط في مكتبة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود – بحيرة – ١٤٢٨ هـــ / ٢٠٠٧ م .

٧- أسباب النزول لأبي الحسن النيسابوري –، تحقيق : كمال بسيوني زغلول، ط: دار الكتب العلمية ، بيروت ، الأولى ١٤١١هـــ .

٨- أسد الغابة في معرفة الصحابة – عز الدين ابن الأثير ، المحقق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجـــود ، الناشـــر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى ، سنة النشر: ١٤١٥هـــ – ١٩٩٤ م

٩- أسرار البلاغة : أبو بكر عبد القاهر الجرجاني – ، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر : مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة] .

١٠- أسرار النداء في صحيحي الإمام البخاري والإمام مسلم – مصطفى عبد السلام محمود باشا – رسالة دكتوراه – مخطوط في مكتبة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود ١٤٣٥ هـ ، ٢٠٠٤ م .

١١- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : مصطفى صادق لرافعي طبعة : دار الكتاب العربي – بيروت،الثامنة – ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م .

١٢- الأعلام – خير الدين بن محمود بن ، الزركلي الدمشقي طبعة : دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر – ٢٠٠٢ م ] .

١٣- إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِي عِيَاض بن موسى السبتي – المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل – الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر – الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

١٤- والإيضاح في علوم البلاغة: ، جلال الدين القزويني ، المعروف بالخطيب دمشق القزويني : المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي ، الناشر: دار الجيل – بيروت ، الطبعة: الثالثة

١٥- البديع في نقد الشعر : أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن منقذ –، تحقيق: الدكتور أحمد أحمد بدوي، الدكتور حامد عبد المجيد ، مراجعة: الأستاذ إبراهيم مصطفى ، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – الإقليم الجنوبي – الإدارة العامة للثقافة

١٦- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى – تحقيق : محمد علي النجار ، طبعة : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م

١٧- البلاغة العربية – عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي – ، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م .
١٨- : البيان النبوي : د/ محمد رجب البيومي – طبعة : دار الوفاء ، الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م
١٩- البيان والتبيين للجاحظ:- تحقيق : عبد السلام هارون ط:دار الهلال بيروت ١٤٢٣هـ .
٢٠- تاج العروس من جواهر القاموس : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي : – المحقق: مجموعة من المحققين طبعة : دار الهداية .
٢١- تأملات في البيان النبوي د / إبراهيم عوضين – ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ه ، ١٩٧٩م ٠
٢٢- تأويل مختلف الحديث : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري –، الناشر: المكتب الاسلامي – مؤسسة الإشراق ، الطبعة الثانية– مزيده ومنقحة ١٤١هـ – ١٩٩٩م ٠٠
٢٣- التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير – محمد بن إسماعيل بن صلاح الكحلاني ثم الصنعاني تحقيق : محَمَّد صُبْحي بن حَسَن – الناشر: مَكتَبَةُ الرُّشد، الرياض – الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م
٢٤- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور – الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس – سنة النشر: ١٩٨٤هـ
٢٥- التشويق في الحديث النبوي " طرقه وأغراضه " دكتور/ بسيوني عبد الفتاح فيود – طبعة : مطبعة الحسين الإسلامية ، الأولى – ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م .

٢٦- تطريز رياض الصالحين – فيصل بن عبد العزيز المبارك الحريملي النجدي المحقق: د. عبد العزيز بن عبد الله آل حمد- طبعة : دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض : الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

٢٧- تفسير القرطبي المسمى بالجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ط دار الغد العربي، الثانية.

٢٨- التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ – محمد بن إسماعيل ، الكحلاني ثم الصنعاني تحقيق : د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم – طبعة : مكتبة دار السلام، الرياض : الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م .

٢٩- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم : زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي – تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور- الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع- الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م

٣٠- الجامع الكبير – سنن الإمام الترمذي المحقق: بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت سنة النشر: ١٩٩٨ م .

٣١- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي – المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، الناشر: دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

٣٢- الجنى الداني في حروف المعاني – أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي ، صـ ٣٣٠ ، المحقق: د فخر الدين قباوة – الأستاذ محمد نديم فاضل ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

٣٣- حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص : ٢ / ٣٣٨ ط: دار الكتب العلمية بيروت .
٣٤- الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية : الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية – دكتور / عز الدين السيد – طبعة : دار اقرأ – الأولى ، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م .
٣٥- خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني: محمد محمد أبو موسى – طبعة : مكتبة وهبة : الرابعة : ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م] .
٣٦- دراسات لأسلوب القرآن الكريم – محمد عبد الخالق عضيمة :– – طبعة : دار الحديث القاهرة – ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤ م .
٣٧- دلائل الإعجاز:عبد القاهر الجرجاني:– تحقيق ، محمود شاكر ط :المدني، الثالثة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م .
٣٨- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين : محمد علي بن محمد بن علان – ، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا – الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان – الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م .
٣٩- ديوان امرئ القيس – طبعة : دار صادر بيروت
٤٠- ديوان الفرزدق – شرح : علي قاعور– طبعة : دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧ م .
٤١- ديوان القطامي : تحقيق : د/ إبراهيم السامرائي – أحمد مطلوب – دار النشر : دار الثقافة – الأولى : ١٩٦١م .
٤٢- ديوان النابغة الذبياني – تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – طبعة : دار المعارف – الثالثة .
٤٣- رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي – تحقيق : أحمد محمد الخراط ط : مجمع اللغة العربية بدمشق

٤٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي - المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

٤٥- زاد المعاد في هدي خير العباد - طبعة : مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت – الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م

٤٦- سنن أبي داوود : أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني – تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت .

٤٧- السنن الكبرى : للإمام بكر البيهقي المحقق: محمد عبد القادر عطا – الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات – الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .

٤٨- سنن ابن ماجه : ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي – الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي .

٤٩- سنن النسائي :: المسمى بـ ( المجتبى من السنن ) للإمام النسائي – تحقيق / عبد الفتاح أبوغدة ، ط / مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب ، الثانية ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م

٥٠- شرح الأربعين النووية : محمد بن صالح بن محمد العثيمين – الناشر: دار الثريا للنشر

٥١- شرح رياض الصالحين : محمد بن صالح بن محمد العثيمين : ٣ /١٧٢ – الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض – الطبعة: ١٤٢٦ هـ

٥٢- شرح السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي – تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير

الشاويش – الناشر: المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت: الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م

٥٣- شرح صحيح البخاري لابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك – تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم طبعة : دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض – الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م .

٥٤- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) : شرف الدين الطيبي – تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي – ط: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة): الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م

٥٥- شرح اللمع في النحو " للقاسم بن محمد الضرير – ، تحقيق : رجب عثمان محمد – طبعة : مكتبة الخانجي – القاهرة – الأولى – ١٤٢٠هأ – ٢٠٠٠م

٥٦- شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد – ، تحقيق : محمد عبد الكريم النمري ، ط،دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ـ ، الأولى ، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م ،

٥٧- الشعر والشعراء لابن قتيبة :– تحقيق أحمد محمد شاكر – طبعة : دار المعارف – الثانية ، ١٩٨٦م .]

٥٨- صحيح ابن حبان – حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

٥٩- صحيح مسلم بشرح النووي المسمى بالمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – : أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي – ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

٦٠- صحيح مسلم المسمى بالمسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمام مسلم بن الحجاج – المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٦١- الطبقات الكبرى : أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بابن سعد – المحقق: إحسان عباس ، الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م .
٦٢- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي : الطبعة :الأولى، ١٤٢٣ هـ .
٦٣- طرح التثريب في شرح التقريب (المقصود بالتقريب: تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد) : أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي وأكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم ابن العراقي ، الناشر: (دار إحياء التراث العربي)
٦٤- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني – تحقيق : محمد محي الدين درويش ط دار الجيل بيروت ، الخامسة : ١٤٠١ هـ ١٩٨١م ٠
٦٥- عمدة القاري شرح صحيح البخاري : بدر الدين العينى – طبعة : دار إحياء التراث العربي – بيروت
٦٦- عيار الشعر – : محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن – المحقق: عبد العزيز بن ناصر المانع ، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة
٦٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب ، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩.

٦٨- فتح المنعم شرح صحيح مسلم – الدكتور موسى شاهين لاشين – ، الناشر: دار الشروق – الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م .

٦٩- الفروق اللغوية : أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري – ص ١٩٥،١٩٦ المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي – الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي – الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ

٧٠- الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية : نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان – ، الناشر: دار ركابي للنشر – الغورية، مصر ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م ]

٧١- فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري : الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر ، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦ .

٧٢- في ظلال القرآن– للشيخ / سيد قطب ، ، ط دار الشروق، السادسة عشرة ١٤١٠ه، ١٩٩٠م.

٧٣- قوت المغتذي على جامع الترمذي : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي – ، تحقيق ودراسة: ناصر بن محمد بن حامد الغريبي – رسالة دكتوراه – جامعة أم القرى، مكة المكرمة – كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة – عام النشر: ١٤٢٤ هـ .

٧٤- كتاب الصناعتين – أبو هلال العسكري – تحقيق: علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت ، عام النشر: ١٤١٩ هـ .

٧٥- كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي – تحقيق ، د مهدي المخزومي، د / إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال .

٧٦- كشف المشكل من حديث الصحيحين – جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي – المحقق: علي حسين البواب ، الناشر: دار الوطن – الرياض

٧٧- الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري – أحمد بن إسماعيل الكوراني – تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية – ط: دار إحياء التراث العربي،بيروت – لبنان – الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

٧٨- لسان العرب : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى – الناشر: دار صادر – بيروت– الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ .

٧٩- لمحات من هدي النبي – صلى الله عليه وسلم – وبلاغته – د / عبد الغني بركة – طبعة : مؤسسة دار التعاون للطباعة والنشر .

٨٠- ما يجوز للشاعر في الضرورة : محمد بن جعفر القزاز القيرواني أبو عبد الله التميمي – ، حققه وقدم له وصنع فهارسه: الدكتور رمضان عبد التواب، الدكتور صلاح الدين الهادي، الناشر: دار العروبة، الكويت – بإشراف دار الفصحى بالقاهرة .

٨١- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير – تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد – ط المكتبة العصرية – ١٤١١ هـ / ١٩٩٠م .

٨٢- مجمع الأمثال للميداني – تحقق محمد محي الدين عبد الحميد ط : مصطفى البابي الحلبي ، مصر.

٨٣- مُخْتَصَر صَحِيحُ الإِمَامِ البُخَارِي : أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الأشقودري الألباني – . الناشر: مكتَبة المَعارف للنَّشْر والتوزيع، الرياض – الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م .

٨٤- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري – ، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م .

٨٥- المجازات النبوية – الشريف الرضي – ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، ط مصطفى البابي الحلبي – مصر – الأخيرة .
٨٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل – المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون – إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي – الناشر: مؤسسة الرسالة– الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .
٨٧- مشكل الحديث وبيانه : محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، – المحقق: موسى محمد علي– الناشر: عالم الكتب – بيروت – الطبعة: الثانية، ١٩٨٥م.
٨٨- مطالع الأنوار على صحاح الآثار– إبراهيم بن يوسف بن أدهم ، أبو إسحاق ابن قرقول : ١ / ٢٥٣ تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث – الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م .
٨٩- معاني النحو د. فاضل صالح السامرائي – الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن – : الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م
٩٠- المعجم الأوسط : أبو القاسم الطبراني – المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، الناشر: دار الحرمين – القاهرة
٩١- معجم الشعراء – للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني بتصحيح وتعليق : الأستاذ الدكتور ف . كرنكو الناشر : مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة : الثانية، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م.
٩٢- المعجم الكبير– أبو القاسم الطبراني – المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، الطبعة: الثانية
٩٣- معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي – المحقق: عبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار الفكر : ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩

٩٤- معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني – ، تحقيق:ط عادل العزازي ط: دار الوطن للنشر، الرياض: الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م ) .

٩٥- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير – أبو عبد الله محمد بن الحسن فخر الدين الرازي خطيب الري– الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت –: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

٩٦- مفتاح العلوم: يوسف بن أبي بكر أبو يعقوب السكاكي – ، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور – الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – الطبعة: الثانية – ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ .

٩٧- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري : حمزة محمد قاسم – راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م

٩٨- مناهج الجدل في القرآن الكريم – د/ زاهر عواض اللمعي – ، طبعة : مطابع الفرزدق التجارية – الثانية ١٤٠٠هـ .

٩٩- من بلاغة الدعاء النبوي : د / عبد الرازق محمد فضل – مطبعة الشروق

١٠٠- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج المعروف بشرح النووي على صحيح مسلم – أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ

١٠١- مواهب الفتاح في شرح تلخص المفتاح:لابن يعقوب المغربي ـ ضمن شروح التلخيص – طبعة : دار الكتب العلمية ـ بيروت ، لبنان ـ .

١٠٢- موطأ الإمام مالك : مالك بن أنس المدني – رواية أبي مصعب الزهري – المحقق: بشار عواد معروف – محمود خليل ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، ١٤١٢ هـ

١٠٣- نتائج الفكر : لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي – ، تحقيق : عادل احمد عبد الموجود ، والشيخ / علي محمد عوض، ط : دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة : الأولى – ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م

١٠٤- وحي الرسالة:أحمد حسن الزيات – طبعة :دار الثقافة ، بيروت لبنان،السادسة ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م